صفّين الجديدة

دراسات حول معركتي الرقة والموصل

مركز روداو للدراسات
أواسط أيلول 2016

صفّين الجديدة

دراسات حول معركتي الرقة والموصل

د.ماجد أنور عشقي
د. عايد المناع
د. عبدالله الشمري
د.آزاد أحمد علي
د. سربست نبي
د. عثمان علي
فرحان المطر

مركز روودداو للدراسات
Rudaw Research Center

الطبعة الأولى ـ أربيل - كوردستان العراق
2716 كوردى - 2016 ميلادي
الطبعة الثانية - السليمانية اقليم كوردستان
ResearchCentre@rudaw.net
العنوان - أربيل - إقليم كوردستان العراق

جمبع حقوق الطبع وأي نوع من أنواع الإقتباس محفوظة لمركز روودداو للدراسات

رقم التسجيل في المكتبة العامة في إقليم كوردستان العراق (614 سنة 2016)

طبع في مطبعة كوردستان - السليمانية

الفهرست

مقدمة: أمة ودولة جديدة ..... آكو محمد 8

صفين الجديدة ..... د.آزاد احمد علي 12

معركة الموصل والرقة وانعكاساتها على مستقبل العراق وسوريا ..... د. ماجد أنور عشقي 44

الكورد وحلم الوطن القومي ..... د. عايد المناع 59

نظرة مستقبلية للإقليم السني في العراق (قراءة سعودية)..... د. عبدالله الشمري 64

مستقبل الكورد بعد معركتي موصل والرقة .....د.عثمان علي 79

الوضع في روژآڤاي كوردستان: التحدّيات الجيوسياسية ..... د.سربست نبي 98

الرقة وحلم التحرير ..... فرحان المطر 125

مقدمة

أمّة ودولة جديدة

آكو محمد

المدير العام لشبكة رووداو الإعلامية

تثمر الصراعات الكبرى نتائج سياسية عظمى. فحرب إسقاط نظام صدّام، حرب تنظيم القاعدة وشقيقاتها، انتفاضات الربيع العربي ثم حرب تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، نجمت عنها إفرازات كبيرة، كذلك ستنجم عنها نتائج أُخرى أيضاً.

إحدى نتائج تلك الصراعات و الحروب، تَكوُّن أمة مذهبية جديدة باسم «الأمة الشيعية»، وقد نشأت هذه الأمة بصورة حقيقية، لكنْ بسبب بعض المصالح والحساسيات، فإن أيَّ طرف لا يرغب في الحديث عنها أو إنهم يعتقدون أنها ظاهرة عرَضية وقتية.

تعددت وكثرت خيوط «الأمة الشيعية» وخصوصياتها أكثر من السابق، كما أن تمايزها عن السنّة كذلك ازداد بكثرة، حيث لا يشعر عربي شيعي إزاء عربي سُنّي بنفس درجة القرابة كما يشعر بها إزاء فارسيّ شيعي. وهذه حقيقة في ما يخصّ العراق، سوريا، البحرين، اليمن، السعودية، باكستان والبلدان الأخرى.

نشوء هذه الأمة ونموُّها أحدث صراعاً عظيماً في المنطقة، كما جلب اضطراباً سياسياً وجغرافياً جديداً، بحيث بات من الصعوبة جداً أن يخمد ذاك الصراع دون إنشاء خريطة جديدة في المنطقة. فالقسم الأعظم من تعقيدات هذه المنطقة هو بسبب اضطرابات هذه الأمة الجديدة واعتراض محيطها على نشوئها.

أخفقت حدود سايكس – بيكو ودولها في صياغة الهوية الوطنية. والآن حيث حدثت اضطرابات وصراعات داخلية بين معظم تلك الدول، حتى أن بقاء واستمرار كثير من تلك الدول بنفس حدودها الحالية و نظمها الإدارية الحالية بات صعباً جداً.

في القرن العشرين، كانت قضية كوردستان والقضية الفلسطينية أعظم قضايا المنطقة، وكانت كلتاهما قضيتين وطنيتين وقوميتين، كذلك كانت القضيتان مصدر عدم استقرار شديد، مع أن المسألة القومية كانت متمايزة تاريخياً وكانت إلى حدّ ما ذات حدود محدّدة. ولكن الآن ظهرت المشكلة المذهبية بهذا الشكل الكبير في المنطقة، حيث باتت تُهمَّش القضايا القومية في المنطقة والعالم أجمع. فالمشكلة المذهبية تسببت في اضطراب وصراع داخلي خطير جداً للدول وكذلك للمنطقة، وهذا الصراع ليس كالصراع القومي، صراع أمتين وجغرافيتين، بل إن الصراع المذهبي أدخل الصراعات إلى داخل المدن والأحياء. وفي وطنٍ يشهد صراعاً مذهبياً، يكون الاستقرار والمعيشة الهانئة والبقاء للسكان غاية في الصعوبة.

مشكلة تقسيم كوردستان واستعمارها، نقلت المنطقة من صراع إلى صراع آخر بين الدول حديثة المنشأ في المنطقة، بل بين دول المنطقة أيضاً، لكن صراع نشوء الأمة الجديدة «الأمة الشيعية» جعل المنطقة كلها تنخرط في صراع كبير. فالاضطراب والصراع الحاليّانِ أوجدا بيئة مناسبة لنشوء التنظيمات التي تقضي على استقرار العالم كله، والمثال الأكثر بادياً للعيان هو نشوء تنظيم داعش. فقد كان السبب الرئيس لنشوء تنظيم داعش في العراق والشام هو الخلاف والصراع الشديد بين الشيعة والسنّة.

أما نشوء «دولة كوردستان» حالياً في هذا الجزء من كوردستان الملحق بدولة العراق، فهو أفضل طريق لمنع توسّع صراع تلك الأمة الجديدة «الأمة الشيعية» في هذه المنطقة. نشوء «دولة كوردستان» يوفر المنفذ والمُتنفَّس لجميع السُنّة في المنطقة والعالم، كذلك يخلص «الأمة الشيعية» من صراع مديد متواصل.

وإن امتدت الدولة الجديدة «دولة كوردستان» حتى غربي كوردستان، حيث

كان من نتائج تقسيم سايكس – بيكو أنْ أُلحق هذا الجزء بسوريا، فإن مجال الاستقرار يزداد أكثر ويتضاعف. وبسهولة شديدة، ووفق اتفاقٍ في المنطقة، يمكن تبديد جميع مخاوف تركيا أيضاً في ما يخص غربي كوردستان وبصورة عملية يمكنها الحصول على ضمانات كاملة.

نشوء هذه الدولة الجديدة، هو أمرٌ جيد جداً لفتح طريق جديد لنقل النفط والغاز إلى أوربا، كما أنه في مصلحة دول الخليج بشكل خاص و ويوفر خطاً سنياً كاملاً وذلك سوف يساهم في تقوية أواصر العلاقة بين سنة المنطقة. المصالح تكمن في الاتفاق والقبول بهذه التغيُّرات الحاصلة في المنطقة. فمن نتائج التقسيم الخاطئ لسايكس – بيكو، عدم توفير رؤيا لصياغة الهُوية، وانعدام المساواة وظهور تمايز ثقافي واجتماعي عميق في الدول وبين دول سايكس – بيكو أيضاً، حيث تظلُّ هذه الخريطة، إن بقيت في المنطقة دون تغيير، تعمّق مجال القتل والتدمير والتمييز.

وبسبب انعدام الاستقرار، فإن هذه المنطقة، إضافة إلى وجود وبيع كل هذه الثروات الطبيعية، لا تزال تعيش وضعاً سيئاً، الآن وبالاتفاق على عوامل فرض الاستقرار، يمكن بالاستفادة من الثروات وكسب الفرص، أن تؤمّن لنفسها مستقبلاً مضموناً وخالياً من الصراعات.

معركة الموصل والرقة، كمعركتين عسكريتين، يمكن أن تجلبا معارك أخرى. ذكاء خبراء الحروب كانت في التفكير ووضع الخطط لما بعد الحروب. لكي لاتتكرر تلك الصراعات وذاك الدمار، ينبغي التفكّر في الحلول الأساسية. فالباحثون المشاركون في هذا الكتاب يقدّمون رؤى مختلفة بخصوص المشكلات، لكنهم جميعاً متفقون على أنه يجب النظر بعين واعية باحثةٍ عن الحلّ إلى ما بعد معركتي الموصل والرقة. والجميع يعلمون و كتبوا أن استقرار المنطقة يكمن في معالجة المشكلتين القومية والمذهبية، وهذا يتحقق بتقسيم جديد ونظام مناسب للمنطقة.

لا تتمثل قوة الدول في كِبرها، بل إن قوة الدول تتمثل في الاستقرار والوحدة الاجتماعية وفي اقتصادٍ متطور. فشعوب الدول ذاتِ الاقتصاد المتطور، تكون

متحـدة وتمتلـك انتـماءً وطنيـاً متينـاً، لكـن التطـور الاقتصـادي، قبـل كل شيء مرتبط بالاسـتقرار الداخـلي.

صفّين الجديدة

د.آزاد أحمد علي

مدير مركز رووداو للدراسات

1 - رمزية الرقة في استحضار ثقافة الثأر والصراع على السلطة

لقد اندثر مجد الرقة العربي الاسلامي بعد المرحلة الأيوبية، إذ كانت قبلها عاصمة صيفية للخلافة العباسية، ثم اندثرت الرقة على الأرجح بعد الغزو المغولي وتغيرت بنيتها الاجتماعية والسكانية، إذ ظلت طوال العهد العثماني شبه خالية من السكان حينا وبلدة صغيرة حينا آخر[1] . كما أشار معظم الرحالة الذين مرو بها على خلو مناطق محيط الرقة من السكان طوال عدة قرون، بل يعد بعض الدراسين من أبناء منطقة الفرات أن العمران الحالي يعود إلى الفترة الأخيرة من العهد العثماني، حيث كانت مناطق الجزيرة مراعي للقبائل العربية والكوردية الرحل[2] . لاحقا وعلى الرغم من المحاولات العثمانية المتكررة لإحياءها كمركز حضري ذات دلالة ورمزية تاريخية من جهة ولضبط طريق التجارة وغزوات البدو من جهة أخرى، لجأت السلطة العثمانية

(1) - د. سهيل زكار وآخرون، الرقة درة الفرات، الرقة 1992، ص 264

(2) - عبدالقادر عياش، حضارة وادي الفرات، مدن فراتية. دمشق – 1989، ص.178. ولمزيد من التفاصيل حول تاريخ الجزيرة الفراتية الحضاري والعمراني، راجع كتابنا: أنماط العمارة الطينية في الجزيرة الفراتية، دمشق 2010، خاصة الفصلين الرابع والخامس، من ص 129 حتى 298

إلى إتباع سياسة التوطين لزيادة الاستقرار في شمال بلاد الشام، فتوجهت أولا للعنصر التركي والتركماني، فشجعت بعض القبائل التركمانية على الاستيطان في مناطق ريف الرقة وحلب بدءا بعام 1691م. وكانت هذه السياسة من أوائل عمليات الإسكان الموجهة والقسرية لأسباب عسكرية وسياسية واجتماعية في المنطقة. فأصدرت لذلك فرامانات ونظمت ملكية الأرض وشرعت ونظمت العمل الزراعي، فحددت ضريبة الدولة من مجمل الإنتاج الزراعي بالثلث 30%. إلا أن هذه الخطط لم تنجح. ولم يتمكن التركمان من تحقيق الهدف المطلوب، سواء من ناحية التنمية الزراعية أو الاستقرار الأمني. إذ ضايقتهم القبائل العربية القادمة من الجنوب والضاغطة بإتجاه الشمال، وذلك بسبب الطلب على الأرض والمراعي. فعاد عدد منهم إلى مناطقهم الأصلية، وفر قسم آخر بعيدا إلى الشمال، إلى مناطق الأناضول الغربي. وبناء على هذه النتائج المخيبة تم التوجه على الأرجح إلى سياسة الاعتماد على القبائل الكوردية الأكثر عددا والمتواجدين في شمال بلاد الشام. فقد تم تشجيع أفخاذ بهاء الديني وجمال الديني، حسني وبيداني من القبيلة الملية الكوردية للإسكان في الرقة حوالي عام 1711م.[3]

وباتت الرقة طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منطقة نفوذ للحلف القبلي الملي[4] ، وتوج هذه الهيمنة بتكليف زعيم القبائل الملية تيمور باشا أن يكون والياً على الرقة حوالي عام 1800[5] ، لتوظيف قوة حلفه القبلي سياسياً ولدعم استقرار شمال بلاد الشام. وإستمر نفوذ الحلف القبلي الملي سائدا من الناحيتين السياسية والإجتماعية على الرقة ومناطقها شمال نهر الفرات حتى مجيء الفرنسيين، كما اندمجت قبائل وعوائل عديدة من الكورد الملية داخل

(3) - جنكيز أورهونلو، إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية. باللغة التركية، ترجمة: فاروق مصطفى. دمشق 2005، ص 78 103- 134-

(4) - وهو حلف مكون بشكل رئيس من ثلاث وثلاثين قبيلة أغلبها من الكورد فالعرب والتركمان. ولمزيد من التفاصيل راجع دراساتنا: الدور السياسي لعائلة ابراهيم باشا الملي في غرب كوردستان وشمال بلاد الشام، ضمن منشورات المعهد الفرنسي لدراسات المشرق في حلب، أو في مجلة «الحوار» العدد 65 تشرين أول 2012 على الرابط: -http://www.yek dem.com/?p=3595

(5) - عبد القادر عياش، حضارة وادي الفرات، مدن فراتية. دمشق ـ 1989، ص324

المجتمعات العربية في الرقة وريفها إذ كان: «يتوضع سكن عشيرة (الأكراد) في وسط مدينة الرقة إلى جوار عشيرة (البكري)، وما تزال مضافتهم عامرة منذ تأسيسها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى حينه، وتعتبر من كبرى عشائر مدينة الرقة، وهم من أوائل من سكن فيها بعد إعادة إعمارها في القرن التاسع عشر».[6]

ظلت الرقة مجرد قرية حتى مجيئ الفرنسيين حوالي عام 1920. أما المحاولة الأخيرة لإحياء دورها السياسي والإداري فكانت بعد حكم حزب البعث، إثر ترسخ بنية الدولة ما تحت الكولونيالية[7] التي عرفت «بالحكم أو الدولة الوطنية» في سورية والتي اعتمدت الأيديولوجية القومية العربية عصبية وعصبا لها، فإنطلقت من فكرة تأسيس مركز محافظة فيها، سميت في البدء بالرشيد (نسبة إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد)، في سياق سياسة واضحة لطبعها بطابع عربي إسلامي حصري، ولتتوهج من جديد تحت ظلال الذكريات التاريخية للمدينة، إلا أن تم تثبيت اسم محافظة (الرقة). تحولت البلدة فعليا إلى مدينة أواخر الستينات من القرن العشرين، بعد البدء في مشروع بناء سد الفرات بمساعدة سوفيتية، فاستقدمت إليها عوائل العمال من كل أنحاء سورية، كما استصلحت فيها الأراضي لتوزع على قسم من الفلاحين، ولتنقل قسم منهم إلى محافظة الحسكة، بهدف توطينهم على الشريط الشمالي للمحافظة، ضمن مشروع الحزام الأخضر المعروف ب (الحزام العربي) .[8]

الحلقات المتسلسلة من تاريخ الرقة الاجتماعي والسياسي تفصح عن أن مجتمعها حديث التكوين، سواء بالنسبة للحضر ذات الغالبية القادمة من باقي مناطق سورية، أم البدو الذين تم توطينهم واستقرارهم في سياق سياسات حكومية واضحة لبناء مجتمع عربي فلاحي جديد.

---

(6) - يوسف دعيس، عشيرة (الأكراد المليّة) إخوة (هدلة). لمزيد من التفاصيل، على الرابط: http://www.esyria.sy/، آخر زيارة 2016/9/7

(7) - نقصد هنا ب (ما تحت الكولونيالية) الوريثة لنظام الانتداب الفرنسي.

(8) - للتفاصيل راجع دراستنا، الحزام (العربي) في الجزيرة السورية، مركز رووداو للدراسات، على الرابط: http://rudaw.net/arabic/opinion/230620151

هـذا المجتمـع الـذي كان عـلى علاقـة عضويـة وثيقة مـع السـلطة البعثيـة – القومية التـي انتجـت ورسـمت ملامحهـا الجديـدة، فكانـت الرقـة مـن أكـثر المحافظـات ولاءاً وتكيفـا مـع سياسـات حكـم البعـث، بإسـتثناء مواقـف النخبـة الرافضـة لهـا والمعارضـة لسـلطتها، سـواء الذيـن كانـوا مـن تيـار الإخـوان المسـلمون أو المتعاطفين مـع حـزب البعـث العراقـي، أم مـن اليسـار الراديـكالي. في المحصلـة إندثـرت هـذه المعارضـة وسـحقت مـن قبـل نظـام الحكـم وهـي في مهدهـا.

2 - واقع الرقة الاجتماعي والسياسي بعد سيطرة داعش

واكبـت الرقـة مسـار الإنتفاضـة الشـعبية المطالبـة بالاصـلاح والحريـات عـام 2011 وإن بشـكل متأخـر وهـادئ نسـبيا. في نهايـة عـام 2011 عندمـا اشـتدت المعـارك في مدينـة ديـر الـزور ومحيطهـا نـزح جـزء مـن سـكانها إلى الرقـة، كـما بـات طريـق الرقـة حلـب والرقـة ديـر الـزور وكذلـك الحسـكة أكـثر أمانـاً مـن غـيره مـن الطـرق الثانويـة، في غضـون أشـهر وخـلال عـام 2012 بدأنـا نصـادف حواجـز متحركـة للمعارضـة المسـلحة عـلى الطـرق العامـة المؤديـة إلى مدينـة الرقـة[9] ، في حـين اسـتمرت المدينـة تحـت سـيطرة النظـام. بـدأت طلائـع التنظيـمات الاسـلامية المسـلحة تظهـر مطلـع عـام 2012 في ريـف الرقـة.[10] في إنعطافـة تاريخيـة حيـث انتقلـت الخلايـا النائمـة والجهاديـون الوافـدون إلى مرحلـة الإعـلان والظهـور الاسـتعراضي لتوقيـف السـيارات المـارة عـلى الطـرق العامـة ولتدقيـق البطاقـات الشـخصية بحثـاً عـن المتعاونـين مـع النظـام، في حركـة تأسيسـة واضحـة لسـلطة

(9) - أثناء تواجدنا ضمن الكادر التدريسي طوال عامي 2011 و2012 في جامعة الجزيرة الخاصة، التي تقع شرق مدينة دير الزور في قرية البغيلية على الطريق العام المتجه نحو الرقة – حلب. تحولت القرية حاليا إلى أحد أهم مواقع داعش. الكادر التدريسي وبعض الطلاب كانوا مضطرين للسفر في تلك الفترة عن طريق الرقة سواء للوصول الى الحسكة أم إلى حلب بأمان، وبذلك كنا نحتك اسبوعيا مع القوى المعارضة المسلحة، ونتعرف على تنامي قوتهم.

(10) - ففي إحدى الليالي أوقف الحافلة التي تقلنا مسلحون شباب ملتحون، وطلبوا منا البطاقات الشخصية في حركات مسرحية مشابهة لسلوك أجهزة السلطة، دفعني الفضول والاستغراب لأسأل الشاب الذي يدقق ببطاقتي الشخصية: من أي منظمة أنتم؟ ولأي جهة تبعيتكم؟ فرد بتهذيب نحن: (من الجماعات الإسلامية).

مسلحة جهادية بدأت تستوطن في المنطقة.
مهدت تلك الفترة لبروز (جبهة النصرة)، عبر مغازلتها لأبناء القبائل ذوي التوجهات الاسلامية السلفية.

3 - تسليم وإستلام الرقة وفرضية الفوضى المصغرة

تساهل النظام مع تغلغل وتمدد نفوذ الجهاديين في مناطق ريف الرقة، حتى انسحبت من مدينة الرقة في حركة سريعة يوم 2013/3/4 لصالح مجموعة من القوى الاسلامية المسلحة، كإجراء سياسي – أمني موزون، يهدف منع سيطرة المعارضة المنظمة المتمثلة بكتائب الجيش الحر، الذين باتوا يثبتون حضورا بين المدنيين ويعيدون تنظيمهم، فضلاً عن مفاجأة المعارضة المدنية الفتية في المدينة عن طريق غمرها بسيل جارف من الجهاديين المتطرفين، وصولاً إلى عدم السماح لتجذر الفكر المعارض، سواء المدني أم العسكري المعتدل وغير الجهادي بين الأوساط الاجتماعية في الرقة عموما وبين قبائلها في الريف خصوصاً. يبدو أن طبيعة الاجتماع القبلي في الرقة قد تبلور في تاريخه المعاصر ضمن بيئة الولاء للنظام بحكم العلاقة العضوية والتاريخيه بالنظام وببعض منجزاته، كتوزيع الأراضي على الفلاحين وتمديد أقنية الري، التوظيف والتشغيل في المشاريع الإروائية كسدي الفرات والبعث، فقد ترعرع مجتمع الرقة على الموالاة والعيش على منجز السلطة، الذي بدأ جاذباً له منذ استلام حزب البعث وتطبيق سياسات اجتماعية لصالح الفلاحين في ريف هذه المحافظة الحديثة العهد.

لقد تنبه النظام مبكراً إلى أن دخول الجهاديين الى الرقة لن يؤدي إلى تحول عميق في فكر وسلوكية مجتمعه القبلي بعكس المعارضة المعتدلة ذات الجذور المحلية، بمعنى إفتراضه أن المجتمع الرقاوي سيظل احتياطاً للنظام عند العودة، فسيطرة داعش من منظور النظام هي عملية بقاء واحتفاظ بهذا الاحتياطي، احتياطي المولاة القابل للاستثمار المستقبلي، حيث أن طبيعة

اعتدال قبائل الرقة ومحيطها الريفي غير منسجم مع الفكر الجهادي العنيف والمتطرف، بعكس بعض أوساط محافظة دير الزور وبعض أطراف المدينة المهمشة التي تمتلك قابلية أكثر لتبني الفكر والسلوكية المتطرفة والانخراط في المشاريع الجهادية المعادية للنظام. قد يكون هذا السلوك المتوقع لقبائل محافظتي الرقة ودير الزور تفسيراً أولياً لإصرار النظام على البقاء في بعض مناطق ريف ديرالزور والقسم الغربي من المدينة على الرغم من خسائره طوال السنوات الماضية، فقد تكون خسارتها لدير الزور نهائية. إرث دير الزور المعارض المنشق في أحد أوجهه عن صلب قيادات النظام تاريخياً عريق ومواظب على معاداة النظام، وليس كما فسرها فابيرس بالونش:» فعندما بدأت الاحتجاجات المعارِضة للنظام، سارعت القبائل المتصلة بالسعودية إلى المشاركة فيها، ما يفسر سبب انضمام محافظة دير الزور إلى المعارضة بسرعة عام 2011 لأنها تتبع بولائها للسعودية، وتنتمي بقبائلها إلى البدو النبلاء، إلا أن الرقة بقيت وفية للنظام لفترة أطول لأنها تضم عدد أكبر من القبائل العادية، التي استفادت لعقود من الإصلاح الزراعي ومشاريع التنمية التي قام بها نظام البعث»[11] . فليس هنالك قبائل بدوية صرف في محافظة دير الزور مرتبطة بالقوة بالسعودية اجتماعياً، ولا بمعنى الولاء السياسي، فالواقع القبلي على طول نهر الفرات متشابه في المحافظتين.

4 - اشكالية المبايعات العشائرية وآفاق الانقلاب على داعش

إن عملية تغلل داعش بهذه السهولة لا يمكن تفسيرها بهذه البساطة، بمعنى بسبب ولاءها للسعودية فواقع الرقة وحوض الفرات الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي القبلي معقد، ولكن داعش تمكنت من بناء قاعدة شعبية وتوظيف البنية القبائلية لصالح استدامة صلاتها بصرف النظر عن الطبيعة الاجتماعية

(11) - فابريس بالونش، معهد واشنطن، على الرابط: : http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/raqqa-will-not-fall-until-arab-tribes-fight-the-islamic-state . آخر زيارة 2016/8/22

والدينية المعتدلة لقبائل الرقة الرافضة لنظام الحكم السلفي المتشدد، فدور أتباع النظام في دمشق كان جوهريا في عملية استلام وتسليم الرقة، إضافة إلى تدرج وتناوب سلطة المنظمات الجهادية فيها. لاحقا لم تكن المبايعات القبلية مجرد بروبوغاندا إعلامية وإنما ترجمت على الأرض على شكل شبكة من العلاقات السياسية والأمنية المدعمة بمصالح إقتصادية متمثلة في مكاسب بيع النفط والغاز. كما «بدأت داعش بنسج شبكة مصالح تضمُّ شيوخاً و وجهاء عشائر ممن يطمحون للسلطة، ومنها بدأت ظاهرة المبايعات. كما حدث في بيعة الرقة الشهيرة، والتي تمت فيها مبايعة أربع عشرة عشيرة، عبر المشايخ ومندوبيهم، نذكر منهم: الشيخ حسن البريج والشيخ علي الخابور عن عشيرة البريج، الشيخ عبد الكريم الراكان شيخ السبخة، الشيخ مصطفى الخلف العيسى من عشيرة البوعساف، الشيخ خليل الهنداوي الهنادة، الشيخ هويدي شلاش المجحم والشيخ بشير الفيصل عن العفادلة»[12] .

في المحصلة عملت أوساط النظام بمهنية عالية لتشكيل بيئة سادت فيها حالة من الفوضى المصغرة والمحلية، وذلك لوأد تجربة الرقة وعدم السماح لها لإنتاج منجز سياسي وإداري محلي تمثيلي أو انتخابي مدني أفضل من المؤسسات الشكلية لعهد النظام، لتترافق حالة الفوضى مع تولد مشاكل اقتصادية واجتماعية.

اعتمادا على بيئة الفوضى وسيادة حكم داعش المتطرف تبقى القبائل القوى الوحيدة المتبقية في تماسكها وانتظامها الاجتماعي، فضلاً عن حساسيتها وقدرتها السريعة في التعرف على جوهر المتغيرات في مصادر السلطة واتخاذ موقف إلى جانب السلطة والقوة الصاعدة، قبل أن تسبقها القبائل المنافسة إلى الهدف المنشود.

فأي تمهيد وترتيب لمعركة الرقة يتطلب أولاً البحث في كسب القبائل: «إن أي جهد من هذا القبيل سيتطلب فهماً كاملاً للدور المتنامي الذي تؤديه القبائل

---

(12) - مركز التنمية البيئية والاجتماعية، 2016/8/2، على الرابط: http://www.etccmena.com/?p=2490 آخر زيارة 2016/8/24

هنـاك، أولاً في ظـل نظـام الأسـد والآن تحـت حكـم تنظيـم الدولـة الإسـلامية»[13] . ولكـن ليسـت كل القبائـل ولا شـيوخها مرتبطـون بالنظـام حاليـا أو يحنـون إلى عهـده، فثمـة مـن هـو مسـتفيد مـن مرحلـة حكـم داعـش، بـل يفضلهـا عـلى المرحلـة السـابقة، لذلـك ليـس مـن الدقـة أن نفـترض أن بسـاط القبائـل مـن السـهل سـحبه مـن تحـت أقـدام داعـش.

5 - روح صفين تحوم حول الرقة

ثمـة عـودة قويـة في الـدول الـشرق أوسـطية إلى التاريـخ، رغبـة ملحـة في اسـتحضار التاريـخ لخدمـة الأجنـدات والمعـارك السياسـية الراهنـة، فأوضـاع الرقـة الراهنـة ومعركتهـا القادمـة تذكـر بجيوبوليتيكهـا التاريخـي بالـضرورة، الرقـة التـي تقـع عـدة كيلومـترات شـمال غـرب موقـع (صفـين) عـلى الضفـة اليمنـى لنهـر الفـرات، تـكاد تـورث رمزيـة ماضيهـا (إنظـر موقـع الرقـة وصفـين عـلى خارطـة سـورية رقـم (1).

صفـين التـي منهـا وفيهـا بـدأ الـصراع داخـل قمـة الحكـم الاسـلامي، ففيهـا جـرت أكـبر معركـة وأكثرهـا سـوءاً في التاريـخ الاسـلامي، فقـد نشـبت معركـة ضاريـة بـين أنصـار عـلي إبـن أبي طالـب، صهـر الرسـول محمـد (ص)، وأنصـار معاويـة ابـن سـفيان الذيـن دحـروا أنصـار عـلي وأسسـوا لسـلطة شـبه دنيويـة إمبراطويـة، هـي الامبراطوريـة الاسـلامية – الأمويـة، ترسـخت تلـك السـلطة بعـد المعركـة التـي قتـل فيهـا الكثـير مـن الصحابـة والقـادة العـرب المسـلمين عـام (37) للهجـرة المصـادف (657) ميـلادي، لدرجـة أن سـميت معركـة صفـين في التاريـخ الاسـلامي بالفتنـة الكـبرى، إذ دشـنت صفـين للتشـيع المذهبـي السـياسي وللـصراع المزمـن داخـل المجتمعـات الاسـلامية.

(13) - فابريس بالونش، معهد واشنطن، مرجع سابق.

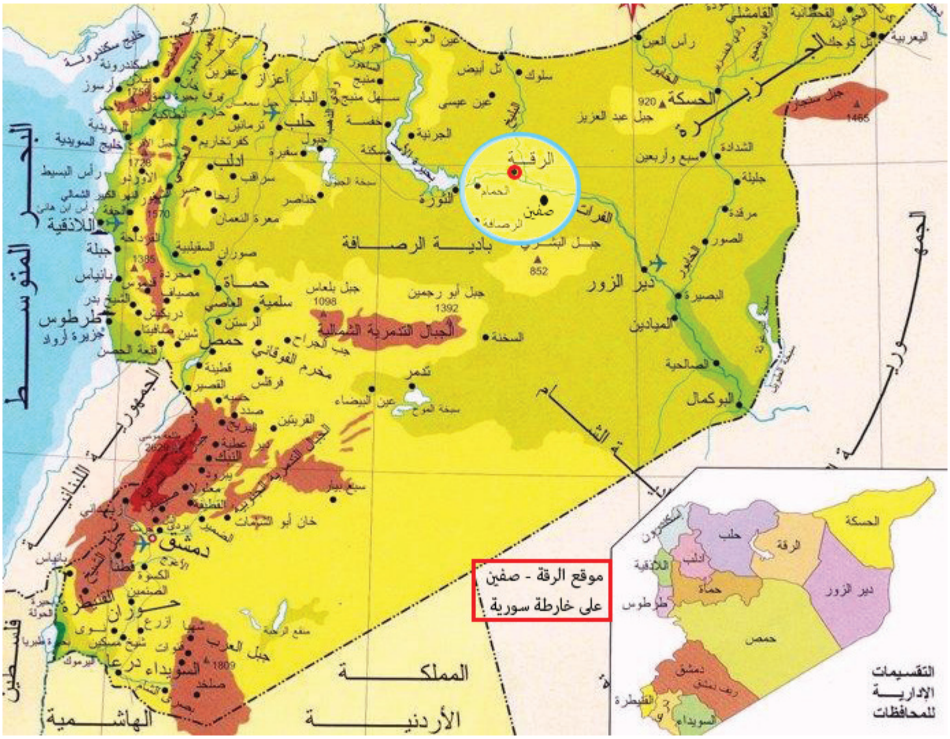

خارطة رقم (1) موقع صفين

هـل عـادت روح صفـين وكيـف؟ للإجابـة عـن هـذا السـؤال لابـد مـن العـودة إلى السـنوات التـي سـبقت مرحلـة داعـش، التـي اهتمـت إبانهـا الجهـات الإيرانيـة المختصـة بريـف الجزيـرة عمومـاً والرقـة خصوصـاً، بـدء الاهتـمام بأضرحـة آل البيـت، كـما نبشـت تاريـخ بعـض العشـائر إسـتنادا عـلى فرضيـة إتصـال نسـبها بـآل البيـت وبالتـالي توظيـف جغرافيـة صفـين وذاكـرة المـكان مذهبيـاً، ليؤسـس حـكام إيـران لمشروعهـم الأيديولوجـي السـياسي المذهبـي في جغرافيـة مـكان ولادة التشـيع، فقامـت بعمليـات إحيـاء روح التشـيع بطريقـة ناعمـة. «فالدعـوة إلى المذهـب الشـيعي كانـت متَّجهـة في الغالـب إلى القبائـل التـي تدَّعـي نسـبها إلى آل البيـت وعـلي بـن أبي طالـب. وكانـت هـذه الجهـات، قـد اعتمـدت عـلى الفرضيـة السـابقة، لإقنـاع عـدد مـن أفـراد عشـيرة البوسرايـا في منطقـة الشـميطية بـين ديـر

الـزور والرقـة بالتشـيع. بـدأت العديـد مـن المراكـز والحسـينيات تنتـشر في الرقـة، ففـي مزرعـة حطـين القريبـة مـن مدينـة الطبقـة تـم بنـاء مجمـع الزهـراء بـإشراف عبدالمجيـد الـسراوي، إضافـة إلى بنـاء حسـينية في تـل أبيـض. وتؤكِّـد المصـادر بـأن دعـاوى التشـيُّع كانـت مرفقـة بإغـراءات ماديـة في الغالـب، تـتراوح بـين 5 إلى 10 آلاف لـيرة سـورية، لاسـتقطاب أبنـاء الشريحـة الفقـيرة في الجزيـرة خصوصـاً»[14] . ومـا ان وصلـت الرقـة إلى محطـة إنتفاضـة عـام 2011، حتـى تراكـم الاحتقـان مـن ممارسـات التشـيع، التـي سـاهمت للإنحيـاز المذهبـي وسـهلت اسـتقبال السـلفيين الجهاديـين. بعـد إحـكام سـيطرة داعـش عـلى الرقـة مطلـع عـام 2014 وتطبيـق فكـره ومـن ثـم حكمـه المتشـدد، بـدأت معركـة حقيقـة طويلـة متعـددة الأوجـه يمكـن تسـميتها وعنونتهـا «بصفـين الجديـدة»، وهـي تبـدو كصـدى معـولم للمعركـة التاريخيـة الأم. إن روح صفـين الجديـدة قـد شـحنت بديناميـات جديـدة وحوافـز كبـيرة يتمثـل أولاً في اسـتثمار آبـار النفـط ومعامـل الغـاز التـي تركتهـا الـشركات التابعـة للدولـة (أو الأجنبيـة)، سـائبة في عهـدة السـكان المحليـين، فضـلاً عـن انخـراط قـوى محليـة وإقليميـة ودوليـة بعيـدة، حتـى باتـت المعركـة مصيـدة لتصفيـة القـوى الشـابة الجهاديـة المسـتقدمة مـن مختلـف أنحـاء العـالم. ربمـا كان مـن الصعوبـة بـل مـن الاسـتحالة تجميـع كل الشـباب المتطـرف في هـذه الرقعـة المسـالمة البائسـة مـن العـالم، لـولا روح صفـين الجاذبـة للقتـال الأبـدي المتأرجـح بـين قطبـي نـار الحـق وظـلام الباطـل، واسـتثمار كل هـذا الـصراع الدمـوي في حقـل الجغرافيـا السياسـية.

لقـد تجسـدت روح صفـين في بنـاء أضرحـة آل البيـت عـلى شـكل نصـب ومعـالم فيزيائيـة بـارزة، فقـد إنتصـب في الضاحيـة الشرقيـة لمدينـة الرقـة، ضمـن حـي الفقـراء مسـجد شـاهق إيـراني الطـراز والزخرفـة، كمعلـم أولي وترجمـة هندسـية لإسـتحضار روح صفـين، حيـث شـيدت عـلى مجموعـة مـن القبـور التـي يُعتقـد أنهـا لضحايـا حـرب صفـين، كقـبر الصحـابي عـمار بـن يـاسر.

مـا هـو مهـم في سـياق إحيـاء روح صفـين سياسـيا ومذهبيـا أنـه في عـام 1983

(14) - مركز التنمية البيئية والاجتماعية، 2016/8/2، على الرابط: http://www.etccmena.com/?p=2490 آخر زيارة 2016/8/24 اعتمادا على تقارير لنشطاء ميدانيين.

بـدأت محافظـة الرقـة بإزالـة القبـور القديمـة والحديثـة لتشـيّد عـلى أنقاضهـا حديقـة ومنتزهًـا عامًـا. وفي عـام 1988 وافـق حافـظ الأسـد عـلى طلـب إيـران بالاعتنـاء بضريـح كل مـن عـمار بـن يـاسر وأبي بـن قيـس النخعـي وأويـس القـرني، والإشراف عـلى ترميمـه وتوسـعته وبنـاء جامـع كبـير عليـه، ليتـم تثبيتهـا كأحـد المقامـات الشـيعية المقدسـة. بـدأ العمـل بالمقـام بشـكل هـادئ في عـام 1988 حتـى تـم تدشـينه في عـام 2004.

تـم تدمـير المنشـأة الرمزيـة الشـيعية هـذه مـن قِبـل تنظيـم داعـش بعـد سـيطرته عـلى محافظـة الرَّقَّـة، وذلـك في (26 مـارس 2014)، انهـارت عـلى أثره مآذن المسـجد. ثـمّ أعـاد التنظيـم تفجـير مـا تبقـى مـن المسـجد يـوم 15 أيـار 2014.[15] صحيـح أن داعـش يعتـبر بنـاء القبـور والأضرحـة أعـمالاً شركيّـة تـؤدي إلى الحكـم بالتكفـير، لكنهـا هنـا دمـرت المنشـأة لسـبب إضـافي كونهـا رمـز للحضـور الشـيعي في منطقـة تعـد سـنية.

لقـد كانـت حركـة التشـيع والتبشـير الايرانيـة بدايـة لإحيـاء روح صفـين، وغـزوة داعـش جـاءت اسـتكمالا واسـتمرارية لمضامينهـا الصراعيـة، لدرجـة أن معركـة الرقـة تبـدو بصيغـة مـا كأحـد أهـم حلقاتهـا، وإن لم تعـد صراعـا صافيـاً عـلى الخلافـة داخـل بيـت المسـلمين ولا نزوحـاً بإتجـاه السـيطرة عـلى ميـاه الفـرات العذبـة، أو طـرق التجـارة بـين المـشرق والمغـرب، فهـي في المحصلـة تجسـيد للـصراع المذهبـي المعـولم، في حركـة نكوصيـة تعاكـس الحداثـة وخـط التطـور العـام للمجتمعـات المعـاصرة، فالمعركـة بقـدر مـا تحمـل مـن مـيراث المـاضي الصراعـي العـربي الاسـلامي الثقيـل، بالقـدر نفسـه يحمـل بـين طياته جوانـب ومسـتجدات الصراعـات المعاصرة، التـي لابـد مـن حضورهـا إلى الميـدان، كالصراعـات القوميـة والاقليميـة والدوليـة، إن صفـين الجديـدة هـي أحـد أبـرز الاشـارات إلى تراجـع مجتمعاتنـا المعـاصرة إلى عهـد الصراعـات الطائفيـة والمذهبيـة السـلطوية وإبتعادهـا عـن التوافقـات الناظمـة للدولـة الحديثـة، إنهـا ارتـداد شـديد عـن مسـار الحداثـة في مجمـل إقليـم الـشرق الأوسـط وإن بصيـغ مواربـة غـير ملموسـة.

(15) - جريدة السفير، 2014/5/16، الرقة: تفجير مقام أويس القرني ،على الرابط: http://assafir.com/Article

6 - لماذا معركة الرقة؟

يظل هذا السؤال رئيسيا يتطلب الإجابه عليه قبل بدء معركة الرقة، لبيان أهميتها، وضروراتها العسكرية والسياسية، ومن ثم يتبعها أسئلة أخرى، فمن سيدير شؤون المدينة؟ هل يمكن فصل معركة الرقة عن معارك: جرابلس، الراعي، الباب وحلب القادمتين؟ في سعينا لتفسير هذه المعركة، لابد من التذكير بدور محافظة الرقة العسكري المبكر على الساحة السورية وما إنتهى إليه هذا الدور.

لقد كانت منطقة الرقة من المناطق التي مهدت للعمل المسلح في شمال سورية، فقد هيأت الأرضية والمناخ مبكرا للعمل العسكري في مناطق تل أبيض والزيدي جنوب منطقة سلوك، وأعلنت الكتائب المسلحة فيها عن نفسها[16] ، ذلك على الأرجح بتشجيع مسبق من السعودية وتركيا، وإعتمادا على وجود عدة قرى تركمانية في ريف الرقة الشمالي إستخدمت كمحطات إقامة للوافدين، خصوصا من آسيا الوسطى وتركمانستان. فتح ريف شمال الرقة النافذة الأولى لدخول الجهاديين إلى سورية والعراق: «بدأ العمل العسكري في المحافظة في المناطق المحاذية للحدود التركية في منطقتي تل أبيض وسلوك وتم تحرير تل أبيض في 19 أيلول 2012 كنقطة تحول في العمل العسكري والمدني، فتل أبيض معبر حدودي مع تركيا، ذلك أمن طريقا آمنا للإمداد التسليحي والتمويني، وكذلك دخول المجاهدين الذي بدأ على استحياء في بداية الأمر، والذين تمركزوا بداية في ناحية سلوك، في وقت كانت تركيا فاتحة الحدود على مصراعيها في النقاط التي سيطرت عليها الكتائب المسلحة التي تقاتل النظام.»[17] وما يثبت احتضان قرى التركمان للعديد من الجهاديين، أنني

(16) - لقد برزت تنظيمات مسلحة في عدة قرى وسط بادية شمال الرقة في منطقة الزيدي ذات الكثافة السكانية المنخفضة، ويبدو لي أنهم نظموا عملية تفتيش السيارات نهاية عام 2011، فعند مرورنا المتكرر عليهم في تلك الفترة، تبين لنا أن كانوا من بدو المنطقة، على الأرجح فخذ من قبيلة العنزة العربية، كما دونوا في تلك الفترة على جدران مقراتهم شعارات مؤيدة لملك السعودية، وربما رفعوا صوره، قبل أن تنتظم الفصائل العسكرية وتتناحر ضمن تيارات متصارعة.

سبق أن إلتقيت في الطريق بين الحسكة والرقة، في تلك الفترة مع جهاديين تونسيين، وتجاذبنا أطراف الحديث، حيث أفصحوا بأنهم يستقرون في قرية (حمام التركمان) في منطقة البليخ شمال الرقة.

ولكن لماذا تراجع دور الرقة العسكري والسياسي؟ لقد فقدت التوافق السياسي ضمن أطراف المعارضة سابقا، كم دخلت قوات (ي ب ك) على الخط، لذلك أهمية معركة الرقة الراهنة وتقييم دورها السياسي يكمنان في درجة التفاهمات السياسية والائتلافات المرافقة والمؤسسة لها، طبيعة القوى المحلية والإقليمية المشاركة، درجة تسليحها وعددها؟ كل ذلك سيساهم بوضوح في شكل الإدارة المحلية التي ستخلف سلطة داعش وستؤثر بفعالية على النظام السياسي الجديد لعموم سورية.

من جانب آخر تندرج معركة الرقة فكريا ضمن سياق عولمة صفين، التي تقوم بدورها في تعقيد وتشابك خيوط الحرب على الإرهاب التي تدور على أرض سورية والعراق عموما، وحول مدينتي الموصل والرقة خصوصا.

إن إفتراضنا بأن معركة الرقة هي صفين جديدة ومعولمة ينبثق من حقيقة غياب الرؤيا السياسية المعاصرة من قبل قادة التحالف والدول الفاعلة في الحرب السورية، فليس ثمة تصور سياسي – برنامجي مسبق وواضح حول مرحلة ما بعد تحرير الرقة من داعش، فضلا عن شكل سورية المقبلة ونظامها السياسي وعلاقته بعلمانية الدولة، بل تندرج المعركة حصريا ضمن جهد حربي ودبلوماسي أحادي الجانب، تحت عنوان فضفاض: (الحرب على الإرهاب) و (إلحاق الهزيمة بداعش)، هذا العنوان الذي ينتمي إلى أدبيات البنتاغون العسكرية أكثر من إنتمائه لعالم الدبلوماسية السياسية، أو حتى وجود معادل سياسي له بعد المعركة.

الإقرار بأهمية معركة الرقة تأتي من حقيقة سحب أكبر وأوسع بساط اجتماعي وخزان بشري من بين يد داعش، كما أنها تكشف عن مركزية

---

(17) - خلف علي الخلف، الرقة من عباءة الأسد إلى سيف الدولة الاسلامية. ص10، نسخة p d f .مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية، تموز 2015، على الرابط: http://drsc-sy.org

الحـدث ودلالتـه الأيديولوجيـة – التاريخيـة، فالمعركـة تكثيـف لإسـتحضار تاريـخ الـصراع المذهبـي عـلى السـلطة، وربمـا عـري لحقائقهـا وملابسـاتها، فمعركـة الرقـة ليسـت عسـكرية فحسـب وإنمـا رمزيـة معرفيـة ذي عمـق تاريخـي في جوهرهـا، تعيـد إلى الأذهـان الأسـس والمـبررات الضعيفـة لمشروعيـة الـصراع عـلى الحكـم منـذ العهـد الاسـلامي الأول، كـما تبـين بطريقـة أو بأخـرى درجـة إنحـراف النشـاط المجتمعـي السـوري عـن مسـاره المـدني السـياسي ومـدى النكـوص الطائفـي الـذي أصابـه. وهـي مـن زاويـة اخـرى تنـدرج في سـياق العـودة إلى مـشروع الحداثـة رغـم كل مشـاكلها وتواضـع محتواهـا، لدرجـة يمكـن عدهـا محاولـة جادة لإعـادة المجتمع العـربي المعتـدل في الرقـة وحـوض الفـرات إلى نسـق حياتـه التـي كانـت تلامـس وتتفاعـل مـع الحداثـة، حيـث كانـت بعيـدة موضوعيـا عـن التشـدد والتعصـب، والتـي تمثلـت بإنخراطهـا في عمليـات الاسـتقرار الريفـي والحـضري وسـعي أبنائهـا إلى التعليـم، لذلـك فهـي معركـة تتطلـب أدوات ليسـت عسـكرية فقـط لخوضهـا وإنمـا فكريـة وبالتـالي أسـلحة ومنهجـا خاصـا لدمقرطـة المجتمـع ورفـع حصانتـه المعرفيـة والثقافيـة.

7 - منبج فتحت الطريق إلى الرقة أم جرابلس؟

كانـت معركـة منبـج وعمليـة تحريرهـا مـن سـيطرة وحكـم داعـش تدريبـاً وتجريبـاً ومقدمـة لمعـارك أكـبر، فلـم تتضـح بعـد أولويـات المعـارك التـي سـتأتي قبـل الرقـة أو بعدهـا، علـما أن الادارة الامريكيـة عـلى لسـان وزيـر الدفـاع آشـتون كارتـر قـد أشـار إلى أن معركـة منبـج نـصر يسـاهم في فصـل الرقـة عـن الحـدود التركيـة، فقـد كانـت بمثابـة مقدمـة للمعـارك الأكـبر وخاصـة لمدينـة كبـيرة مثـل الرقـة. إذا أخذنـا بعـين الإعتبـار أن بعـض المعلومـات الميدانيـة والإخباريـة تؤكـد مشـاركة قـوات أمريكيـة خاصـة في تحريـر منبـج، وتقييـم واشـنطن في المحصلـة لعمليـة منبـج، عـلى أنهـا مرحلـة متقدمـة للتحـرك نحـو تحريـر الرقـة وتثبيـت التحالـف مـع (قـوات سـورية الديمقراطيـة)، فـإن منبـج شـكلت الخطـوة الأولى نحـو معركـة الرقـة: «يمكننـا مـن تحقيـق هدفنـا التـالي في سـوريا؛ وهـو إنهـاء

سيطرة داعش على مدينة الرقة»[18] . أما قادة قوات سورية الديمقراطية فقد أفصحوا عن عزمهم للتوجه نحو تحرير الباب وأعلنوا عن تشكيل مجلس عسكري للمدينة مكوناً من سبعة كتائب عسكرية، وهي: «جبهة ثوار مدينة الباب، لواء شهداء قباسين، لواء السلاجقة، كتائب شهداء ريف الباب، كتيبة أحرار عريمة، لواء الشهيد سلو الراعي، لواء شهداء الكعيبة... وذلك برئاسة جمال موسى».[19]

لكن مسار الأحداث تغيرت بسرعة، فقد ترافقت عملية تحرير منبج من سيطرة مسلحي داعش مع حدثين دبلوماسيين مهمين، ذات علاقة وثيقة بالمتغيرات الميدانية على الساحة السورية. أولهما التوافقات الروسية – التركية الجديدة إثر انتهاء إجتماع القمة بين الدولتين المنخرطتين بعمق في الحرب السورية، كما إنطلقت تصريحات واضحة من اجتماع وزيري خارجية إيران وتركيا، تفسر إستراتيجيا على أن الدول الثلاث تتجه نحو التوافق على إيجاد أكبر مساحة للمشتركات بخصوص الشأن السوري، ربما في مقدمتها نسف المنجزات الجيوسياسية والمعنوية التي تحققت لصالح الكورد وخاصة قوات سورية الديمقراطية، كما أنهم توافقوا على إرسال رسالة مشتركة إلى واشنطن وربما باريس وبرلين، تتلخص في أنهم لن يسمحوا للكورد من إحداث تغيرات سياسية جوهرية، تترجم سيادياً على الأرض، كثمن لتضحياتهم وحربهم الواسعة على الإرهاب وطليعتها (داعش)، هذا المسعى الذي ترجم لاحقاً في منع تجاوز قوات سورية الديمقراطية الفرات نحو مناطق ريفي جرابلس والباب.

لا شك أن عملية تحرير منبج وضمها إلى مجموع المناطق التي يتم حمايتها من قبل قوات سورية الديمقراطية، وبالتالي إحتمال إدارتها من قبل سلطة الإدارة الذاتية بقيادة حزب الاتحاد الديمقراطي، شكل منعطفا في مسار المتغيرات السياسية والعسكرية على الساحة السورية، وقد تكون غزوة جرابلس بقيادة

---

(18) - لمزيد من التفاصيل، أمريكا تشكر تركيا لدعم تحرير منبج رغم الخلاف حول PYD، الخليج او نلاين، على الرابط: http://alkhaleejonline.net

(19) - تشكيل «المجلس العسكري لمدينة الباب وريفها» لانتزاعها من تنظيم «الدولة». وكالة سمارت، على الرابط: https://smartnews-agency.com

تركيا يوم 2016/8/24 جاءت كرد سريع على سيطرة قوات سورية الديمقراطية على منبج، ودفعا بإتجاه ترجيح إنسحابها من منبج وريفها. هذا على ما يبدو ما توافقت عليها كل الأطراف الإقليمية، بناء على سياسات ومطاليب الحكومة التركية، لذلك فإحتمال أن تستمر سيطرتها مع الفصائل الموالية لها على الشريط – القطاع الحدودي بين جرابلس – الراعي فإعزار بعمق يتجاوز (12) كم بات واردا، لتوظيف هذا التموضع لصالح تأثيرها على الحل السياسي وشكل الحكم في سوريا وبالتالي الحد من النفوذ والقوة الكوردية الصاعدة على الساحة السورية.

إذ قال المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، أدريان غالواي: «كنا واضحين مع جميع عناصر هذه العملية، بأن الهدف من هزيمة داعش في منبج هو إعادتها إلى سيطرة وحكم السكان المحليين».[20]

نفترض أن عملية تحرير منبج جاءت على حساب الرقة ومهدت لتحرير الباب أو جرابلس من سيطرة داعش، لكن تركيا تدخلت بقوة ودخلت بلدة جرابلس يوم 2016/8/24 في عملية اجتياح عسكري تحت عنوان «درع الفرات» وعينها على منبج والباب لتثبيت فصائل تركمانية وكتائب من الجيش الحر الموالية لأنقرة في غرب الفرات، بهدف وضع جدار في وجه تقدم قوات سورية الديمقراطية وتهيأة المناخ لإنسحابها إلى شرق نهر الفرات، والتأثير على مسار معركة الرقة.

مجمل الأحداث في النصف الأول من شهر أيلول 2016 تدفع بإتجاه إعطاء الأولية لمعركة الرقة، بصرف النظر ما إذا عجلتها عملية تحرير منبج أم سيطرة الفصائل الموالية لتركيا بمساندة مباشرة من الجيش التركي على جرابلس والراعي وريفهما.

لذلك تفترض هذه القراءة بأن الرعاية العسكرية الأمريكية بقيادة البنتاغون لقوات سورية الديمقراطية إذا لم ترتقي إلى مستوى التأييد السياسي – الدبلوماسي فإن معركة الرقة ستظل غير واضحة المعالم سواء من حيث الزمن أو الخطة

(20) - الخليج أون لاين، المصدر السابق، آخر زيارة 2016/8/31

والأهـداف، وقـد لا تتحمـس قـوات سـورية الديمقراطيـة لخوضهـا بعـد أن تفاجـأت بمـآل ونتائـج تحريـر منبـج.

في هـذا السـياق مـازال العديـد مـن الأسـئلة تبحـث عـن إجابـات وافيـة، فهـل سـتخلص «صفـين الجديـدة» أهـالي الرقـة والجزيـرة مـن بطـش داعـش، وهـل ستؤسـس المعركـة لسـلطة أفضـل مـن سـابقاتها؟ هـل قـوات سـورية الديمقراطيـة سـتكون المفتـاح والأداة لهـذه المعركـة؟! وبالتـالي مدخـلا للخـلاص مـن الاسـتبداد والتطـرف معـا. سـتظل الاجابـة مرتبطـة بـشروط المعركـة نفسـها، فقـوات سـورية الديمقراطيـة هـي في كل الأحـوال أفضـل مـن الجيـوش الأجنبيـة وأدرى بمعانـاة أبنـاء المنطقـة، فهـي تـأتي مـن الجـوار القريـب ذات العلاقـة بالرقـة، ونجاحهـا مرتبـط بعـدد وسـوية المشـاركين فيهـا مـن أبنـاء الرقـة والجزيـرة الفراتيـة، فدرجـة تعاونهـم وتشـاركهم يمهـد للحلـول المسـتدامة، كـما أن مظلتهـا السياسـية (مجلـس سـورية الديمقراطـي) بسـوية أدائهـا السـياسي واحتواءهـا لقـوى عربيـة وزعـماء القبائـل هـو المعنـي بـشروط ضبـط العمليـات ودرجـة نجاحهـا سياسـيا واداريـا، بالتـالي منـع نشـوء صراع ذات طابـع قومـي عـربي – كـوردي في نهايـة المطـاف، في حـين الرعايـة الدوليـة الدبلوماسـية الأطلسـية – الخليجيـة سـتزيد مـن فـرص نجـاح الحملـة، والتأسـيس لسـلطة مدنيـة – اجتماعيـة محليـة توافقيـة. علـما أن آخـر الأخبـار المتعقلـة بالتحضـيرات لمعركـة الرقـة تشـير إلى إسـتمرار التنسـيق العسـكري الأمريـكي مـع قـوات سـورية الديمقراطيـة، دون تغيـير واضـح أو جديـد في سياسـات واشـنطن إتجـاه مسـار الحـل السـلمي وعلاقتهـا بمعركـة الرقـة، لكـن مـا هـو واضـح أن موقفـي واشـطن وأنقـرة مختلفـان مـن معركـة الرقـة، فتركيـا مـصرة عـلى عـدم مشـاركة (قسـد) فيهـا كـما أن إشـارات واشـنطن بصـدد ضرورة عـدم توغـل القـوات التركيـة نحـو مناطـق جنـوب جرابلـس تفـسر عـدم رغبـة أمريـكا في المشـاركة التركية المشروطـة ضمـن معركـة الرقـة، وربمـا سـيزيد هـذا الموقـف الـتركي المتشـنج مـن مشـاركة (قسـد) مـن الإصرار الأمـيركيّ والأوروبيّ عـلى دعـم الأكـراد السـوريّين.[21]

9 - معركة الرقة كمعلم بارز على طريق التسوية السياسية

إلى أيـن سـتتجه سـورية بعـد معركـة الرقـة وأي مصـير سـتقرره لمناطـق المحافظـة وجوارهـا، هـل سـتفتح الطريـق نحـو دمشـق عـبر مدينـة السـلمية؟ أو إلى حلـب فإدلـب، أم القامشـلي، فلـكل مـن هـذه الطـرق البريـة الثـلاث مسـارات سياسـية تواكبهـا (دقـق مسـارات الطـرق البريـة 1،2،3، عـلى الخارطـة رقـم 2 المرفقـة) .
مـن سـيدير شـؤون المدينـة؟ أي قـوى سياسـية واجتماعيـة ستشـارك؟ كيـف سـيتم حفـظ الأمـن في مناطقهـا الواسـعة فضـلا عـن مركـز المدينـة، ثمـة عـشرات الأسـئلة الأخـرى ذات الصلـة التـي سـتظل بـدون أجوبـة وافيـة وواضحـة إلى أن يتـم تحديـد التحالـف، القـوى أو اللجنـة المصغـرة لإدارة المعركـة.

(21) - سميح ايديز. تركيا تطالب بدور في معركة الموصل لكنّ التحالف غير مقتنع، المنيتور، على الرابط: آخر زيارة 2016/9/20

http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/201609//turkey-iraq-syria-isis-raqqa-mosul.html#ixzz4KmYXpyud

خارطة رقم (2) مسارات ارتباط الرقة مع المدن – مراكز السلطات السورية

بناء على الخط العام لمسارات ومجريات الأحداث العسكرية والسياسية التي قد تنجم وتكون ذات علاقة وثيقة بمعركة الرقة، ثمة مسارات وسيناريوهات رئيسية قد تنبثق عن مخرجات معركة الرقة، ثم تفضي إلى مقدمات الحل وتفصح عن موقع معركة الرقة فيها.

لقد تطلبت معركة منبج أكثر من سبعين يوما والعديد من الضحايا، حتى تم تقييمها أمريكيا بشكل ايجابي، على أنها قطعت الطريق بين الرقة وتركيا، وإعتبرت مقدمة وتجربة ناجحة قبل معركة الرقة الأكبر والأصعب، بمعنى حددت الرقة الوجهة الثانية من منظور أمريكي، في حين صرحت قوات سورية الديمقراطية بأن المعركة التالية هي الباب، دون أي توضيح وتقديم للمبررات، لم يتضح بعد فيما ستتجه قوات سورية الديمقراطية إلى ريف الباب الشمالي أم مركز مدينة الباب؟ لكن عملية «درع الفرات» قلبت الموازين العسكرية

والسياسية وبالتالي غيرت وجهة قوات سورية الديمقراطية، فالمعطيات تغيرت تماما بعد التدخل التركي في جرابلس ورجحت أكثر معركة الرقة، هذه المعركة التي تبدو منسجمة أكثر مع مطالب تركيا وحلفائها، وستولد بأهميتها خمسة سيناريوهات رئيسة تؤثر على الخط العام ومصير الحل السياسي في سورية:

أولا: إذا انخرطت قوات سورية الديمقراطية في معركة الريف الشمالي لمنطقة الباب وربطت كوباني، منبج وريف الباب عبر بلدة (قباسين) مع منطقة عفرين، معنى ذلك أن سير المعارك في شمال سورية يتم لصالح ترجيح تشكل إدارة ذاتية كوردية على الأرض، عزل واستبعاد تركيا بصورة أمتن عن الداخل السوري، وحصرها في مستطيل جرابلس - الراعي - إعزاز، الذي بات على مايبدو في الأسبوع الأول من أيلول تحت سيطرة تركيا وحلفائها. معركة ريف الباب قد تفتح معركة جانبية لقوات سورية الديمقراطية مع كتائب الجيش الحر والتركمان الموالين لتركيا. للخروج من هذا المأزق وتجنب الإصطدام بين الكورد وتركيا أو حلفائها، على الأرجح ستكون معركة الرقة لها الأولوية أمريكيا، وإن لم تكن الرقة ذاتها على صلة مباشرة بمشروع الإدارة الذاتية الديمقراطية، فمعركة ريف الباب الشمالي هي المرشحة لتخدم مشروع الادارة الذاتية أو فدرالية الشمال السوري ذات الغالبية الكوردية إن شئنا الدقة، لأن السيطرة والبقاء في ريف شمال الباب له الأولية من المنظور الكوردي وهي تعزز الجغرافية السياسية الجديدة لمجلس سورية الديمقراطي، بمعنى آخر لو جاء تحرير الرقة بعد ريف الباب - منبج فسيكون دعما وربما سندا لفدرالية الشمال وتوسيعا لجغرافيتها، وقد ترتبط الرقة مع الحسكة – القامشلي بعلاقات اقتصادية وسياسية وثيقة، لكنه ليس الإحتمال الأقوى، بل هو إحتمال ضعيف بسبب عوامل متعددة، خاصة أنه مرتبط بدرجة الصراعات الاقليمية والدولية، وبالتالي بحقيقة وجود مشروع أمريكي اطلسي استراتيجي في المنطقة، مختلف ومعاكس لمسار التفاهم والتقارب الايراني – التركي – الروسي.

ثانيا: إذا تم خوض معركة حلب وانخرطت لهذه الغاية فصائل قوات سورية

الديمقراطية في معركة مدينة الباب للضغط على شرق حلب وللسيطرة على مدينة الباب وريفها وتخليصها من حكم داعش، وإن كانت هذه المعركة تحت الرعاية والدعم الأمريكي مع تفهم روسي، معنى ذلك أنه سيتم الاستعجال بالتسوية السياسية لصالح النظام في ظل تفاهم دولي، وسيتم ضرب الفصائل الاسلامية المسلحة المؤتلفة أخيرا جنوب حلب، وهو احتمال بات بعيدا بحسب المباحثات الأمريكية – الروسية في الأسبوع الأول من أيلول 2016.

ثالثا: إذا تم إعطاء الاولوية لمعركة الرقة والبدء بها قبل معارك الباب – حلب، فهذا يعني تفتيت وتشتيت قوة داعش، والبقاء على حلب كمركز للمعارضة السورية والاحتفاظ بالخزان البشري العربي السني لتوظيفات المرحلة اللاحقة، وبالتالي تأجيل التسوية إلى فترة بعيدة قادمة. لتظل حلب مركزا لمقاومة المعارضة الاسلامية السورية، على إتصال مع ريفها الغربي وإدلب، في حين أن الرقة هي حاليا مركز لوجود وقوة داعش. إن تدمير أحد المركزين سينعش المركز الآخر وهذا إحتمال وارد.

رابعا: إذا تم تحرير الرقة وإرتفع منسوب التفاهم والتنسيق الأمريكي – الروسي – الايراني – التركي على بقاء نظام الحكم في دمشق، فعلى الأرجح سيتم فتح طريق الرقة سلمية - دمشق، وستعود تدريجيا سلطة دمشق المركزية إلى محافظة الرقة، ولن تنضم محافظة الرقة إلى الإدارة الذاتية، رغم القرب الجغرافي وهذا الاحتمال هو الأرجح ولو تأخر لعدة أشهر.

خامسا: السيناريو الأخير المغاير الذي برز وإزداد إحتمال حدوثه بعد لقاء القمة بين أوباما وأردوغان على هامش اجتماع G20 في الصين، حيث «أكد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن بلاده مستعدة لقبول اقتراح واشنطن حول إجراء عملية مشتركة لتحرير الرقة السورية من أيدي تنظيم داعش»[22] . إذا صدقت تسريبات وتلميحات الرئيس التركي الأخيرة بأن الرئيس الأمريكي طلب منه المشاركة في معركة تحرير الرقة، وفي حال تم التوافق على ذلك مستقبلا فهذا يعني تغييرا في مجمل مسار معركة الرقة وأهدافها، فبحسب

(22) - مزيد من التفاصيل: على الرابط -https://arabic.rt.com/news/839875

هـذا الاحتـمال سـتتوغل القـوات والاسـتخبارات التركيـة في العمـق السـوري وسـتقبض بقـوة عـلى الورقـة السـورية وسـتخلي شـمال سـورية مـن القـوات الكورديـة وتسـتبدلها بالمنظـمات الجهاديـة، وربمـا توسـع مـن الرقعـة التـي تسـيطر عليهـا بـين جرابلـس واعـزاز لتتحـول الى مـشروع كانتـون إسـلامي – تركـماني، وبالتـالي باحـة خلفيـة ومزرعـة لاسـتنبات الجهاديـين مـن جديـد. لذلـك يبـدو لنـا أنـه احتـمال ضعيـف.

بـصرف النظـر عـن أرجحيـة أي سـيناريو، يمكـن التكهـن بـأن مصـير وتوقيـت معركـة الرقـة ونتائجهـا سـتكون في غايـة الأهميـة وقـد تحـدد مصـير مسـار الحـل السـلمي في سـورية، فضـلا عـن شـكل الدولـة السـورية المسـتقبلية، بمـا فيـه آفـاق نجـاح فدراليـة الشـمال أو فشـلها ذات العلاقـة الجغرافيـة والاجتماعيـة الوثيقـة.

10 - معركة الرقة وآفاق الفدرالية الكوردية في الشمال

لم يكـن للرقـة وكذلـك منبـج في يـوم مـن الأيـام أي موقـع خـاص في أدبيـات الحـركات والأحـزاب الكورديـة في سـورية، فقـد عـدت كمناطـق عربيـة مجـاورة، يبـدو أن خـوض قـوات سـورية الديمقراطيـة معركـة منبـج لم تسـتند إلى مرجعيـة قوميـة أو سياسـات كورديـة سـابقة، وإنمـا تتوافـق وتنبثـق مـن ايديولوجيـة حـزب العـمال الكوردسـتاني P.K.K اليسـاروية شـبه الطوباويـة المتمثلـة في السـعي النظـري لتحريـر كل سـورية والـشرق الأوسـط، وكذلـك تنـدرج بصيغـة مـا ضمـن معركـة الرقـة القادمـة في سـياق عولمـة صفـين لتسـاهم في تعقيـد المشـهد سياسـيا، خاصـة في ظـل غيـاب مرجعيـات سياسـية، برامـج أو أطـر وطنيـة سـورية جامعـة، أو محليـة ذات علاقـة بالرقـة، فضـلا عـن تصـور أو سـيناريو واضـح لرسـم ملامـح إدارة مرحلـة مـا بعـد داعـش محليـا في الرقـة. معركـة الرقـة مرتبطـة مـع مـشروع التسـوية السياسـية في سـورية أكـثر مـن علاقتهـا بفدراليـة الشـمال أو الجزيـرة السـورية، فمشـاركة قـوات سـورية الديمقراطيـة تـأتي عـبر تكثيـف الجهـد العسـكري والدبلومـاسي الـدولي ضمـن حملـة منظمـة وتحـت سـقف إسـتراتيجي منخفـض،

يتلخص في إلحاق الهزيمة العسكرية بداعش وتفكيك سلطته على أرض محافظة الرقة ووادي الفرات.

فمهما كانت صلابة وصدقية القوات المشاركة وحجم القوات الكوردية ضمنها، ينبغي المحافظة على إرادة السكان واستبيان رغبتهم الذاتية في الخلاص من حكم داعش المتطرف الجامد، بحيث يكون الخلاص مطلبا شعبيا، ويستحسن أن يكون المجتمع المحلي هو الذي فضل وقرر خيار المعركة، لتحترم عبرها خياراتهم السياسية وعدم تمكين أي قوة خارجية إلا في حدود المحافظة على الأمن لمرحلة إنتقالية واضحة المعالم. صيغة الفدرالية أو المركزية المطلقة ينبغي أن لا يفرضا على السكان، فالنخب المحلية والقيادات المشاركة في التحرير هي التي من حقها التفكر في عقد إجتماعي وسياسي جديد، بعد مرارة تجربتهم مع داعش، وقد تتضع على ضوء مجريات المعركة طبيعة العلاقة مع الجيران، خاصة الكورد كمكون قريب وقوة رئيسية في عملية التحرير. كما يظل من الأهمية لنجاح معركة الرقة وحسن توظيفها سياسيا أن لا يتم أي فرض للإرادات أو الخيارات السياسية – القانونية. إن هذا الرأي والتوجه السياسي المفترض يشكل عامل أمان ويبعد احتمالات الفشل في ظل تشنج سياسي يسود بين أوساط المعارضة وكذلك سلطة دمشق من مشروع فدرلة سورية عموما وفدرالية الشمال على وجه الخصوص.

إن التخوف السياسي العربي السوري المتزايد من الفدرالية، الذي عبرت عنه أوساط عريضة من القوى السياسية والطبقات الاجتماعية وتلخصت في أن الفدرلية السورية هي مكسب حصري يخص الكورد وحدهم دون باقي مكونات المنطقة، وهي بالضرورة خسارة للأطراف السورية الأخرى، وصولا إلى أن تكونت ما يشبه «فوبيا الفدرالية»، إذ يتم الربط بين حتمية تقسيم سوريا والصيغة الفدرالية لها، وذلك بشكل سافر وثيق ويقيني، أو أن يتم الإفتراض وكأن الفدرالية عقوبة للسوريين؟ وهي كارثة ستجزء هذا الشعب المتجانس المتحد، الذي لم يعاني في تاريخه الحديث أي معضلة أو تمييز، فضلا عن الإضطهاد السياسي!

مـازال الـرأي الراجـح علميـا يركـز عـلى أن حـل المسـألة السـورية بشـكل مسـتدام يتطلـب فدراليـة منسـجمة، خاصـة إذا تـم التوافـق عـلى أحـد أنسـب صيغهـا. الفدراليـة لا يمكـن إلا وأن تـأتي كمنجـز سـياسي، فالفدراليـة مرتبطـة عضويـا بالتحـول الديمقراطـي في المجتمعـات المركبـة، كالمجتمـع السـوري، ويبـدو أنـه ضمـن الـشروط الراهنـة بـدون تثبيـت نظـام ديمقراطـي شـاقوليا ونظـام فـدرالي أفقيـا، لايمكـن الإنتقـال إلى الحـل السـياسي ولا عمليـا إلى تنـاول السـلطة نفسـها، حيـث مـن الـضروري تفكيـك سـلطة الاسـتبداد جغرافيـا في المقـام الأول، وليـس عسـكريا فقـط.

إن العمـل عـلى تفكيـك وتفتيـت ظاهـرة الاسـتبداد السـياسي في سـورية تقتـضي بالـضرورة توزيـع السـلطات، وتأسـيس الأقاليـم المنسـجمة مـع الواقـع السـوري، هـذه الأقاليـم التـي تشـكل مفتاحـا للديمقراطيـة والتنميـة، وأحـد أهـم سـبل سـد الطـرق عـلى تمركـز السـلطة وعـودة الدكتاتوريـات.

تبقـى مخرجـات ونتائـج معركـة الرقـة عـلى صلـة وثيقـة بالتنـاول الموضوعـي للحل الفـدرالي، ففـي المحصلـة التجـارب العمليـة وحاجـة السـكان ومعاناتهم ستسـاهم في التقليـل مـن هـذا المسـتوى العـالي للخـوف مـن الفدراليـة كشـبح للتقسـيم، كما أن ممارسـات قـوات سـورية الديمقراطيـة ودرجـة تآلفهـا وتحالفهـا مـع القـوى المحليـة في الرقـة والجزيـرة الفراتيـة، ستسـاهم في ترجيـح أو إسـتبعاد مـشروع الفدراليـة في سـورية عمومـا، وفدراليـة الشـمال عـلى وجـه الخصـوص. علـما أن المـؤشرات الأوليـة لا تشـجع عـلى أن يتـم تجـاوب عـربي في الرقـة مـع مـشروع فدراليـة الشـمال، نظـرا للحساسـية الزائـدة مـن أي بـروز لسـلطة كورديـة في الجـوار، وحيـث أن الثقافـة السياسـية للنخـب العربيـة قـد تكونـت في فضـاء عـدم تقبـل أي حقـوق للآخـر، وخاصـة الجـار الكـوردي الـذي ترسـخت صورتـه كمهاجـر حينـا، غـازي ومحتـل حينـا آخـر، فالموقـف المتشـنج الـذي أبـداه مجموعـة مـن النشـطاء والمثقفـين العـرب، إبـان الاسـتيلاء عـلى منطقـة تـل أبيـض التابعـة لمحافظـة الرقـة مـن قبـل قـوات (وحـدات حمايـة الشـعب Y.P.G) لم يكـن معـادلا لممارسـات هـذه القـوات، بـل كانـت تعبـيرا حـادا لرفـض كل تقـدم لقـوات ذات صلـة بالكـورد، بـصرف النظـر

عـن حقيقـة تخليـص تلـك المناطـق مـن الارهـاب. إن هـذه الآراء والعديـد غيرهـا التـي بـرزت وتوثقـت في سـنوات الحـرب السـورية الراهنـة ترجـح الاعتقـاد بـأن الثقافـة السياسـية للنخـب العربيـة السـورية غـير مهيـأة لتفهـم الحقـوق والمطالـب الكورديـة ولا تؤمـن بالـشراكات الجديـدة، خاصـة إذا كانـت تحـت مسـمى الفدراليـة، فضـلا عـن مواقـف رافضـة لأي تشـكل أو تبلـور لسـلطة كورديـة، أو أي كيـان كـوردي فـدرالي شـمال سـورية، مهـما كانـت المـبررات الواقعيـة والتاريخيـة، ومهـما كانـت درجـة تعاونـه مـع الوسـط العـربي المجـاور.

إن البيـان الـذي صـدر عـام 2015 ووقـع عليـه حـوالي 41 منظمـة، ناشـط ومثقـف يـدل مـن خطابـه عـلى أن النخبـة العربيـة السـورية مازالـت تنهـل مـن الفكـر القومـي العـروبي اليقينـي، الـذي يتصـف بعـدم قبـول الآخـر، وعـدم تفهـم أي حـق كـوردي في مناطـق شـمال سـورية وغـير قـادر عـلى أن يؤسـس للتحالفـات وللكيانـات السياسـية الاداريـة الجديـدة. خطـاب البيـان قطعـي يترجـم بصيغـة معـاصرة شـعار: «الأرض بتتكلـم عـربي»، بـصرف النظـر عـن مواقفهـم الشـخصية المعتدلـة ورؤاهـم السياسـية الليبراليـة حينـا والاشـتراكية حينـا آخـر.

فقـد ورد في نـص بيـان الادانـة لضـم منطقـة تـل أبيـض إلى الادارة الذاتيـة: «انفردت ميليشـيا مـا تُسـمى وحـدات حمايـة الشـعب اليـوم 21 تشريـن الأول 2015 بخطـوة جديـدة في مسـار خلـق كيانـاً إداريـاً يمتـد عـلى طـول الحـدود السـورية الشـمالية؛ تمثَّلـتْ بإلحـاق جـزء مـن تـل أبيـض، في محافظـة الرقـة، ببلـدة رأس العـين التابعـة لمحافظـة الحسـكة شرقـاً وإلحـاق جـزءاً آخـراً ببلـدة عـين العـرب في ريـف حلـب غربـاً في محاولـة لتغيـير هويـة المنطقـة إداريـاً وسياسـياً وسـكانياً. إن تغيـير التبعيـة الإداريـة لمنطقـة تـل أبيـض، بعـد اكتسـابها بالقـوة، هـو إجـراء قصـير النظـر ويهـدد وحـدة الـتراب الوطنـي السـوري ووحـدة الشـعب السـوري، وهـو إجـراء باطـل ومرفـوض جملـة وتفصيـلاً، ولـن يكتسـب قبـولاً أو شرعيـةً مـا دام قـد فُـرض مـن طـرف واحـد وبالاسـتقواء بقـوى أجنبيـة. كـما أن محاولـة اختـلاق واقعـاً إداريـاً وسياسـياً، يُنكـر وقائـع التاريـخ والجغرافيـا والتوزيـع السـكاني بذريعـة محاربـة تنظيـم داعـش الإرهـابي، هـي مسـعى دنيء وانتهازيـة سياسـة تسـتثمر في عذابـات

السوريين... ولذا فإن تسلق فاشية جديدة، مُمثلة بمليشيات وحدات حماية الشعب متعددة الجنسيات، على جراح الوطن السوري لن يكون إلا تحدياً مُضافاً يجب على السوريين مجابهته ومقاتلته الآن أو بعد حين».

و جاء في البيان «يؤمن موقعو هذا البيان أن إرادة أهلنا في تل أبيض، كما في كل بقعة من سورية، قادرة على كسب الرهان أخيراً مهما كثر المتكالبون وتنازعت الفاشيات وتطاول أصحاب المشاريع الصغيرة، فكل إلى زوال. عاشت سورية حرة أبية»[23] .

وبالموازاة من هذه المواقف السياسية والنخبوية، تم عمليا تهجير الكورد بعد سيطرة القوى الاسلامية المتطرفة، وبالتالي كانت أول خطوة سياسية ومحاولة لإلغاء أي وجود تاريخي للكورد داخل الرقة، علما أن الكورد بحسب كل المصادر كانوا من مؤسسي الرقة المعاصرة منذ مطلع القرن الثامن عشر على أقل تقدير. تعرضت الرقة لعدة عمليات تهجير لسكانها الكورد في السنوات الأربع الأخيرة، كما طالت المسيحين أيضاً.

التهجير الأول بدأ في آذار عام 2013 عندما استولت الفصائل الإسلامية المسلحة على المدينة، واقتصرت بشكل أكثر وضوحاً على العلويين والكورد.

التهجير الثاني كان في حزيران عام 2014 عندما سيطرت داعش على الرقة، واقتصرت بشكل بارز على المسيحيين والكورد والعلمانيين وعائلات الجيش الحر.

التهجير الثالث والأخير بدأ في أواسط 2015، أي بعد خسارة داعش في كوباني، حيث اقتصرت على الكورد فقط. هذا وقد جرت في مرحلة حكم داعش اعتقالات بموجب الهوية (البطاقة الشخصية) للكورد، كما تم ترقيم منازلهم ومضايقتهم لدرجة طلب إخلاء المنازل، فهاجرت نسبة كبيرة منهم، حيث بقي من كورد الرقة عدد من العائلات لا يتجاوز 250 عائلة. في 22 حزيران 2015

---

(23) - بيان بخصوص الاجراءات الانفرادية من طرف PYD بخصوص تل أبيض. النص الكامل للبيان وأسماء الموقعون، على الرابط: http://almalaf-sy.com/article.php?id=7057#.V7gWNvl96Uk
آخر زيارة 2016/8/20

بعـد تراجـع داعـش في شـمال الرقـة قـام ديـوان العشـائر في الرقـة بإبـلاغ جميـع الكـورد الموجوديـن فيهـا لمغادرتهـا بلباسـهم فقـط، دون أن يأخـذوا أي شي أو غـرض معهـم، إذ حـدد لهـم تدمـر كوجهـة، وبحسـب بعـض المشـاهدات والمصـادر فـإن مابـين 190 و 205 عائلـة تمكنـت مـن الوصـول لكوبـاني، وبنـاء عـلى سياسـات التهجـير القسريـة فقـد هبطـت نسـبة السـكان الكـورد داخـل مدينـة الرقـة مـن حـوالي 20% قبـل عـام 2011 إلى لا شيء، أي مقـارب للصفـر، وذلـك لأول مـرة في تاريـخ الرقـة المعـاصر عـام 2016.[24]

لذلـك مجمـل المشـهد السـياسي والإجتماعـي في الرقـة وسـورية لايشـجعان عـلى الإفـتراض بتقبـل مـشروع فدراليـة الشـمال، أو أي شـكل إدراي – سـياسي آخـر إتحـادي بـين العـرب والكـورد ضمـن مجمـل مسـاحة الجزيـرة السـورية.

11 - علاقة معركة الرقة مع عمليات تحرير الموصل

عـلى اعتبـار أن الموصـل عاصمـة دولـة الخلافـة التـي أعلنهـا أبـو بكـر البغـدادي، وحيـث أن المدينـة مدتـه بالمـال والسـلاح، تتمتـع بقـوة بشريـة ومعنويـة، فعـلى الأرجـح سـتكون عمليـة تحريـر الموصـل ذات صلـة وقـد تكـون متزامنـة مـع معركـة الرقـة. فالمشـترك فيهـما أن داعـش تتمركـز في المدينتـين بشـكل رئيـس، فالجهـة المحتلـة والمسـيطرة واحـدة في المدينتـين، كـما أن القـوات المهاجمـة عـلى الأرض سـتكون في قوامهـا الرئيـسي مـن الكـورد، أي سـكان الجـوار الملتبـس. إن جغرافيـة الموصـل السياسـية والاجتماعيـة ليسـت بعيـدة عـن الرقـة والجزيـرة الفراتيـة، لكنها عائـدة إلى سـلطة سياسـية مركزيـة في بغـداد يختلـف واقعهـا وتقييمهـا السـياسي والأخلاقـي عـن وضعيـة حكومـة دمشـق.

لذلـك ثمـة عوامـل تسـهل مـن تزامـن المعركتـين، وتوحـد الجبهـة المقاتلـة ضـد داعـش، فتزامـن المعركتـين تسـهل عسـكريا مـن هزيمـة داعـش، إلا أنهـا قـد تولـد

(24) - محمد هيتو، دراسة ميدانة للمتغيرات الديمغرافية في الرقة طوال السنوات الخمس الماضية. ورقة خلفية خاصة ببحثنا، جرت لصالح مركز رووداو للدراسات خلال شهري تموز وآب 2016.

ملابسات، سوء فهم وتحليلات خاطئة حول حقيقة الإنخراط الكوردي العميق في تحرير الموصل وبروز فعالية قوات البيشمركه، فقد يتم ربطها مع المشروع التحرري القومي الكوردستاني في حال كانت قوات سورية الديمقراطية هي المساهمة بشكل رئيس في معركة الرقة أيضا. ربما يفسر هذا الدور الكوردي الرئيسي في معركتي الموصل والرقة معا التحفظ التركي وكذلك تخبط حكومة أردوغان في تغيير موقفها حينا والاصرار على مشاركتها المشروطة في المعركتين باستبعاد قوات Y.P.G حينا آخر. فقد تصاعدت المواقف التركية الهجومية حيث: «قال أردوغان في خطاب هذا الأسبوع إنّ تركيا ترغب أيضاً في المشاركة في عمليّة تحرير الموصل. وأشاد بنجاح عمليّة «درع الفرات» التي نفّذها الجيش التركيّ ضدّ «داعش» في شمال سوريا، قائلاً إنّه ينبغي القيام بتحرّك مماثل في العراق. وقال أردوغان: «يشمل الحلّ لمشكلة الموصل الإصغاء إلى وجهة نظر تركيا واقتراحاتها المنطقيّة»[25] . ما يعني أن تركيا أيضا تساهم في ربط معركتي الموصل مع الرقة وذلك لصالح أجنداتها الإقليمية، بل ثمة مؤشرات على أنها ستطالب بمزيد من الحقوق للتركمان في سورية والعراق، كستار لإستحضار حلمها القديم في ضم (ولاية الموصل) ولتعميق تدخلها ونفوذها المستقبلي في البلدين، فضلا عن وضع حد للنفوذ الايراني ولتحقيق نوع من التوازن الاستراتيجي لصالحها ولصالح حلفائها.

12 - مساهمة معركة الرقة في انهاء (الدولة الاسلامية)

قد تكون معركتي الرقة والموصل بداية النهاية للدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش)، عملية إزالة جغرافية ملموسة لها على الأرض، حيث يبدو أنه من الضروري جعل الدولة عائمة بدون أرض و»ولايات» فعلية ضمن حدود سورية والعراق. ثمة علاقة وثيقة بين مساعي ضرب داعش وإنهاء

(25) - سميح ايديز. مصدر سابق

وجوده كقوة على الأرض وإستمرارية احتفاظها بمناطق ريفية واسعة ومدن كبيرة، فإحتفاظها بالأرض هو أحد أهم عوامل قوتها الجاذبة للشباب، سواء من ناحية الثقل المعنوي لوجود دولة خلافة مشخصة على أرض الواقع، أم من زاوية تجنيد وتوسيع تغلغلها بين قطاعات واسعة من الحواضن الاجتماعية وإعادة تنظيم وتوجيه الجيل الشاب نحو العنف. بهذا المعنى تأتي معارك تحرير الرقة والموصل في صلب سياسات إنهاء داعش كدولة – مشروع خلافة على أرض الواقع ونسف أهم مرتكزاته الإدارية والاقتصادية، فضلا عن قطع جذوره الذي مدها نحو عمق المجتمع الحاضنة الرئيسة.

مع ذلك ثمة آراء لا ترجح تراجع دور الجغرافية وفقدان المزيد من الأرض الحاسم في نهاية (داعش): «فليس ما يدعو إلى اعتبار أن خسارة الأرض وانتهاء الخلافة بصيغة الدولة سوف تقضي على أخطر ظاهرة جهادية شهدها التوجه الإسلامي القطعي. فإن الإرث الأكثر إثارة للقلق في مرحلة ما بعد اندحار تنظيم الدولة يتجسد في أربع ظواهر تشكل كل منها تهديداً خطيراً للأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، وترافق كل منها كلفة فائقة الارتفاع لمواجهتها. وأولى هذه الظواهر هي الانتشار الجهادي العالمي. فأفول هذا التنظيم لا يعني انحسار القطعيات، بل أن توالدها وتفاقم شدّتها من الأمور التي سوف تشكل خطراً مستمراً على استقرار المجتمعات ذات الغالبية الإسلامية أو دونها على حد سواء. وفيما أن إنزال الهزيمة بالتنظيم في العراق وسوريا هو أمر مطلوب، فإنه في غياب الإرادة الدولية للتصدي لمخلفات هذا التنظيم، فإن أي انتصار عليه في العراق وسوريا لن يكون إلا سراباً عابراً.»[26]

فداعش ستبقى على الأرجح كتنظيم مسلح وفكر جهادي وإن بلغ بها الضعف لتتخلى عن الأرض، ما يفتح السجال والتكهن حول شكل استمراريتها التنظيمي والعسكري المستقبلي.

---

(26) - حسن منينمة، تفكيك إرث تنظيم «الدولة الإسلامية»، معهد واشنطن، على الرابط: : http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/disentangling-the-legacies-of-isis-2016-6 آخر زيارة، 2016/6/19

• خلاصة ونتائج

أ- صفين الجديدة لم تعد صراعا داخل بيت المسلمين بل هي تجسيد لروح الصراع الطائفي المعولم، في حركة نكوصية عكس الحداثة وتطور العالم المعاصر، وبقدر ما تحمل من ميراث الماض الصراعي العربي الاسلامي الثقيل بالقدر نفسه يحمل بين طياته جوانب من الصراعات المعاصرة التي لابد منها كالقومية والاقليمية والدولية، ان «صفين الجديدة» هي أحد أبرز الاشارات لتراجع مجتمعاتنا إلى عهد الصراعات المذهبية السلطوية وابتعادها عن شكل الدول الحديثة وما يتطلبه من توافقات، انه ارتداد شديد عن مسار الحداثة في مجمل الشرق الأوسط وإن بصيغ غير ملموسة، وسيكون لهذا الإرتداد تأثير سلبي طويل الأمد.

ب- معركة الرقة تهدف لتشتيت داعش ودفعه نحو الانزواء داخل النواة الصحراوية السورية العراقية، كما قد تمهد لعودة النظام إليها أو أي سلطة بديلة ترشحها وتزكيها قيادة التحالف الدولي وتكون قابلة للتفاعل مع رغبات السكان على الأرض.

ت- معركة الرقة قد تحدد مسار الحل السلمي في سورية وشكل سورية المستقبلية، خاصة في حال ترافقت مع رعاية سياسية ودبلوماسية إلى جانب العسكرية الأمريكية لقوات سورية الديمقراطية، وستؤثر تلك الرعاية والدعم السياسي على توسع وشرعية مجلس سورية الديمقراطي.

ث- معركة الرقة جزء من معارك ادارة المناطق الخارجة عن سيطرة داعش، هذه المعارك تنوس بين الفروسية الكوردية والاستغفال السياسي، حيث ستبقى مجرد فروسية جديدة تقوم بها طلائع المقاتلين الكورد المتطوعين لمحاربة داعش، إذا لم تكن النتيجة متوازنة سياسياً ولم تأتي لصالح الأهداف التي رسمت سابقا، بحيث تكون متناسبة مع ضخامة التضحيات التي تقدمها

القـوات الكورديـة في سـورية والعـراق.

ج- قـوات سـورية الديمقراطيـة هـي في كل الأحـوال أفضـل مـن الجيـوش الأجنبيـة وأدرى بمعانـاة أبنـاء المنطقـة، فهـي تـأتي مـن الجـوار القريـب ذات العلاقـة بالرقـة، نجاحهـا مرتبـط بعـدد وسـوية المشـاركين فيهـا مـن أبنـاء الرقـة والجزيـرة الفراتيـة، فدرجـة تعاونهـم وتشـاركهم يمهـد كثـيرا للحلـول المسـتدامة، كـما أن المظلـة السياسـية (مجلـس سـورية الديمقراطـي) ودرجـة تحولهـا واحتواءهـا لقـوى سياسـية عربيـة وزعـماء القبائـل هـو المعنـي بضبـط العمليـات ونجاحهـا سياسـيا واداريـا، في حـين الرعايـة الدوليـة الدبلوماسـية الأطلسـية – الخليجيـة سـتزيد مـن فـرص نجـاح الحملـة، والتأسـيس لسـلطة مدنيـة – اجتماعيـة محليـة مسـتقرة.

ح- ثمـة علاقـة عضويـة بـين مسـاعي ضرب داعـش وإنهـاء وجـوده كقـوة عـلى الأرض وإسـتمرارية احتفاظهـا بمناطـق ريفيـة واسـعة ومـدن، فإحتفاظهـا بـالأرض هـو أحـد أهـم عوامـل قوتهـا، بهـذا المعنـى تـأتي معـارك تحريـر الرقـة والموصـل في صلـب سياسـات إنهـاء داعـش كقـوة ضاربـة ودولـة ذات جاذبيـة تعبويـة عالميـة.

خ- مـن المتوقـع أن تسـبب معـارك التحريـر دمـاراً كبـيراً في البنيـة التحتيـة وتزيـد مـن أعـداد الضحايـا مـن السـكان المدنيـين، خاصـة إذا تـم القصـف الجـوي داخـل المـدن، وتجربـة كوبـاني تثبـت ذلـك.

د- إن معركـة الرقـة تفـرض ضروراتهـا مـن جوانـب عـدة، فكريـة وايديولوجيـة، سياسـية، عسـكرية وأمنيـة في نهايـة المطـاف، وهـي معركـة تهـدف للتخلـص مـن مـا تبقـى مـن الرقعـة الجغرافيـة التـي تتموضـع عليهـا (الدولـة الاسـلامية في العـراق والشـام)، وهـي معركـة حصريـة لتخليـص مـا تبقـى مـن المجتمعـات العربيـة القبيليـة المعتدلـة مـن هيمنـة وانتشـار الفكـر الجهـادي المتطـرف.

ذ- إن المنـاخ العالمـي الراهـن مشـجع عـلى الـصراع المذهبـي – الطائفـي، بعكـس القـرن المـاضي، ففـي سـتيناته وبحـرب مشـابهة دعمـت السـعودية الأئمـة الزيديـين الشـيعة في اليمـن وسـاندتهم في حربهـم عـلى الجمهوريـين المدعومـين مـن مـصر، في إطـار «الحـرب البـاردة العربيـة» وذلـك انسـجاما مـع روح ذلـك العهـد المسـتند عـلى ثنائيتـي الرجعـي – التقدمـي السياسـية والأيديولوجيـة، في حـين الـصراع

المعاصر المتجسد في ظاهرة «صفين الجديدة» يبدو أنه صراع مذهبي – طائفي ذات طابع معولم عابر للدول والقوميات.

ر- إذا لم تحقق معارك الرقة – الموصل وبالتالي حلب منجزا سياسيا لصالح شعوب المنطقة عموما، سورية والعراق خصوصا، إذا لم تؤسس هذه الحرب لأنظمة سياسية ديمقراطية تمكن المجتمعات المحلية من حكم نفسها وإختيار صيغ الحكم والادارة المناسبة لها، وبالتالي إذا لم تفتح الطريق لتأسيس نظم إتحادية ديمقراطية ولم تضع حد للسلطات الإستبدادية العسكرية – الأمنية فإن كل هذه الخسائر والتضحيات ستكون فقط وقودا لإحياء حروب ما قبل الحداثة، التي ستكون في المحصلة صراع أجوف لا يؤسس لشيء سوى للإنقسام والصراع نفسه، مهما إكتسبت من مسميات.

معركة الموصل والرقة
وانعكاساتها على مستقبل العراق و سوريا

د.ماجد انور عشقي

رئيس مركز الشرق الأوسط

للدراسات الاستراتيجية والقانونية - جدة

1. المقدمة
2. خلفية المشهد
3. تأسيس دولة الخلافة
4. الموصل تاريخيا
5. كيف سقطت الموصل
6. الموصل وتركيا
7. الموصل والشيعة
8. الموصل بعد داعش
9. هل ينقسم العراق بعد داعش
10. معركة الرقة وتداعياتها
11. الخلاصة

المقدمة

تساءلت جريدة (ديلى تلغراف) البريطانية كيف احتل تنظيم «داعش» مساحات واسعة في العراق و سوريا خلال ستة شهور فقط ليصبح التنظيم المسلح الأغنى في العالم خلال هذه الفترة القصيرة وأصبح اليوم على حدود تركيا العضو في حلف الناتو تماما كالولايات المتحدة وبريطانيا .

وفي يناير من عام 2014 تمكن من إحكام السيطرة على مدينة الرقة السورية التي يسكنها 220 الف نسمة بعد معارك خاضها مع الجيش السورى الحر ، وجعلها عاصمة لدولة الخلافة في العراق والشام .

وفي الشهر التالى للسيطرة على الموصل تمكن داعش من احتلال أكبر حقل نفطي في سوريا وبسط سيطرته على ثلثي العراق في الأنبار وتكريت ومحافظة نينوى، هل كانت هذه الاندفاعه بالقوة الذاتية التي يملكها التنظيم أم أنها إحدى القوى التي تتلاعب بها المحاور السياسية العالمية وتوجهها لتحقيق مصالحها ومخططاتها .

خلفية المشهد

ذكرت جريدة (البايس) الاسبانية في تقرير عن الحرب الدائرة في العراق وسوريا يفيد بأن التسابق من أجل السيطرة على مسارات الطاقة هو أحد الأسباب الكامنة وراء تفجير الحروب المتتالية في سورية . وقد ظل السباق مستمراً من أجل بناء خطوط الأنابيب في مواجهة أثنين من أهم المشاريع الاقليمية.

في الجهة الأولى نجد دول الخليج العربى المتحالفة مع تركيا تدعمها الولايات المتحدة ، وفي الجهة الثانية نجد القوة الشيعية المنافسة إيران والعراق وسوريا تدعمها روسيا.

كما صرح وزير العدل التركي (بكير بورداج) بتاريخ 2016/6/21 أن القوى

الدولية الدينية ، أنشأت تنظيم داعش ليكون بلاء على المسلمين والإنسانية ، وهو مشروع دولى لتحقيق عداوة المسلمين للإسلام وابتعادهم عنه . وكراهيتهم لإخوانهم المسلمين الآخرين، وهناك هدف آخر من إنشاء التنظيم هو تأمين الظروف والأرضية المناسبة لتحقيق الأهداف السياسية للقوى التي أنشأته في منطقة الشرق الأوسط ، يمكن القول إن الحرب الدائرة في العراق وسوريا ، إنما هي معركة بين المحاور الاقتصادية الدولية بالتحالف مع أعوانها القوى الإقليمية ، سعياً لتحقيق أهداف إقتصادية وسياسية توسعية.

تأسيس دولة الخلافة

ذكرت تحقيقات (فورين بوليسى) أن بداية النشأة لداعش كانت في قرية (كفر حمرة) شمال مدينة حلب حينما طلب وفد من الجناح العراقي للقاعدة وربما كان البغدادي منهم –من الفصائل الجهادية الإنضمام إليه ومبايعته ، لإقامة الدولة الإسلامية ، لتمكين المسلمين من التوسع عالميا ، وإقامة الحدود ، والمواطنة، والمؤسسات، والعمل البيروقراطي.

لان عمل الجهاديين قد ذهب هباء كله ، لأنهم لا يبسطون سيطرتهم صراحة على أراض خاصة بهم ، فإذا استطاعت هذه الدولة الإسلامية البقاء خلال مرحلتها الأولى إذاً يمكنها البقاء إلى الأبد .

بالنسبة لجبهة النصرة وقائدها ابو محمد الجولانى ، كان هذا التطور كارثيا لأن هذا معناه نهاية القاعدة في سوريا ، فأمر أتباعه بعدم الإنضمام لداعش لكن 90% من المقاتلين في مدينة حلب إنضموا إليها بعد بضعة اسابيع .

حتى تاريخ مايو2013 كان التنافس بين داعش والنصرة ما يزال سلميا لكن حينما رجحت كفة القوة العسكرية لداعش ، إتهمتها النصرة بتقسيم الحركة «الجهادية» وإضعافها في سورية وفي التاريخ المذكور نشر الظواهري رسالة أكد فيها تأييده للنصرة وعدم رضاه عن تأسيس دولة الخلافة ، فتراجع أفراد كثر من النصرة عن تأييد البغدادي وعادوا إلى منظمة النصرة .

عندما وصل التوتر بين المعسكرين إلى ذروته بدأت النصرة و أحرار الشام والجيش السورى الحر بطرد داعش من إدلب ، ومن بعض أجزاء محافظة حلب ، وفي نهاية المطاف قرر داعش التخلى عن كامل منطقة شمال غرب سوريا وبسط سلطته في شمال سوريا وشرقها ولم تعد مناطق المنظمتين متداخلة .

في 2 كانون الثاني 2014 أعد تنظيم داعش قافلة من مئتى عربة ممتلئة بالمقاتلين وعائلاتهم وبالأسلحة والرهائن الأجانب ، وثلاث حاويات ممتلئة بالمواد الكيماوية ، كانت قد استولت عليها من جبهة النصرة والفوج 111 وانطلقت جميعا شرقاً باتجاه مدينة الرقة واحتلتها، ثم أعلنتها لاحقا عاصمة للدولة الإسلامية. (المصدر: السفير بتاريخ 2016/8/22).

الموصل تاريخيا

تذكر المصادر التاريخية أن الموصل كانت عاصمة الدولة الآشورية من سنه (-1080ق م) تحت إسم نينوى وأطلق عليها العرب اسم الموصل لكونها همزه وصل بين نهرى دجلة والفرات ، وقد استوطنها العرب والفرس منذ القرن الثالث قبل الميلاد وكانت مسرحاً للمعارك التي دارت بين الدولة الساسانية والرومان وبمساندة من القبائل العربية المحيطة بها دخلها المسلمون سنه 637 م وشهدت الموصل حروب الردة بعد أربع سنوات من هذا التاريخ وتمت سيطرة المسلمين عليها .

تعتبر الموصل ثاني مدينة في العراق بعد بغداد ويبلغ عدد سكانها هذه الايام حوالى مليون وثلاثمائة الف نسمة .

توالت على الموصل سلسلة من النكبات والحروب منذ ذلك التاريخ لأهميتها الجغرافية والإستراتيجية ووقوعها بين سواد العراق وبلاد الشام وهضبة الأناضول واتسم تاريخها بالصراع بين الامبراطوريات للسيطرة عليها كما تنازعتها الأسر الحاكمة في العصر الإسلامى فعرفت حكم الأمويين والعباسيين

والحمدانيين والسلاجقة والأتابكة وغزاها المغول التتار سنة 1233 م ودمروها وقتلوا اهلها.

سيطر عليها السلطان الثاني سليمان بن سليم في منتصف القرن الثامن عشر . وحاول الصفويون غزوها في عهد نادر باشا الصفوي سنة 1732 م بجيش يتألف من 300.000 مقاتل ودارت معركة هائلة استعمل فيها الجيش الصفوي القنابل والأسلحة النارية وانتهت بهزيمتهم عن أسوار الموصل التي بقيت تحت حكم الامبراطورية العثمانية حتى سنة 1918 تاريخ هزيمة الجيش العثمانى أمام الانجليز الذين سيطروا عليها ومنذ ذلك التاريخ غدت الموصل ورقة للمساومة بيد الانجليز فقد ساوموا الحكم الملكي العراقي على قبول الانتداب ، وساوموا الأتراك على إلحاقها بدولتهم وأجروا استفتاء كانت نتيجتة رفض العراقيين الإنضمام إلى الدولة التركية.

شهدت الموصل في العهد الملكى سلسلة اضطرابات من أبرزها ثورة الجيش سنة 1937 بعد اغتيال الفريق بكر صدقي رئيس الأركان في مطار الموصل ، وكذلك اغتيال القنصل البريطاني في ذلك التاريخ ، وشارك أبناء الموصل في ثورة رشيد عالي الكيلانى في 1942 وانقلاب الشواف 1959 .

احتلت القوات الأمريكية الموصل سنة 2003 وتمكنت من محاصرة إبني الرئيس العراقي عدي وقصي ، وقتلتهما في سكر بالموصل وفي عام 2014 سقطت الموصل بيد تنظيم داعش .

كيف سقطت الموصل

لكي ندرك معنى سقوط مدينة الموصل بيد قوات داعش ، لا بد من معرفة الحالة السياسية والاجتماعية فيها.

سقطت الموصل بيد الجيش الأمريكى بتاريخ 1 ابريل 2003 أي بعد يومين من سقوط بغداد. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الموصل مركزاً للتمرد السني وتنظيم القاعدة ضد الشيعة. وظهرت عمليات اغتيال خارج القانون، واضطهاد

السنة. لكن هذا التمرد تراجع بشكل ملحوظ مع المشاركة المكثفة للسنة في الحياة السياسية بين عامي 2009 و 2010 ومع انسحاب القوات الأمريكية عام 2011 إنخفض عدد الخسائر في صفوف المدنيين مما يشير إلى أن القاعدة في طريقها إلى الانهيار.

سياسات المالكي:

يقول تقرير رويترز : بعد الانسحاب الأميركي ، قام المالكي بحملة تطهير لقيادات الجيش العراقي من السنة والكورد ، مما خلق تمرداً جديداً في الأوساط السنية استغله داعش ليكسب تعاطفاً محلياً. ووجد السكان في تنظيم الدولة الإسلامية منقذاُ ومعادلاُ للقوات الحكومية ، وبديلاً عن فشل المالكي وحكومته في بناء أجهزة وطنية وظهر في الأجواء شحن طائفي ومناطقي وعنصري غير طبيعي .

وتلك المشكلات المتراكمة بين الكتلة السياسية السنية وحكومة بغداد منعت القوات من محاربة داعش في الموصل وصلاح الدين وأجزاء من كركوك.

سقوط الموصل عسكرياً:

إن المدينة التي صمدت سنة 1732 أمام جيش صفوي قوامه 300 ألف جندي يقوده نادر شاه سقطت في 6 يونيو 2014 خلال ساعات معدودات فما هي الأسباب؟

عبرت قوات داعش إلى الموصل بجيش يتألف من 100 عربة و 400 مقاتل عصر اليوم الثامن. وحينئذٍ نشطت الخلايا النائمة التي كانت تعد بالآلاف وكثفت الهجوم الذي أظهر ضعف القوات العراقية ، وهشاشة بنيتها العسكرية والاستخباراتية.

وأرجع الفريق جبار ياور، من وزارة البشمركة سبب الهزيمة إلى عدم وجود عقيدة قتالية مشتركة بين عناصر الجيش العراقي وضعف الاسناد الجوي.

وكان الخبير الأمني مجيد النعيمي قد صرح قبل سقوط الموصل بأن

التنظيمات الموالية لداعش كانت تتحكم في المدينة عن طريق تسليم أعضائها مناصب المسؤولية فيها. ويذكر من هذه المنظمات:

-1 جيش المجاهدين السلفي

-2 جيش رجال الطريقة النقشبندية (بقيادة عزت الدوري)

-3 تنظيم أنصار السنة الجهادي

-4 ضباط سابقون في الجيش العراقي المنحل

جعل المسؤولون الرسميون قائد الأمن الغراوي وعدداً من ضباطه كبش الفداء لهذه الهزيمة، ووجهت إليهم الإتهامات بالتقصير لكن هوشيار زيباري، وزيرالخارجية الأسبق يقول «كان الغراوي ضابطاً يؤدي عمله ، لكن حظه تعثر مثل كثيرين غيره من الضباط كلنا علينا أن نتحمل بعض المسؤولية كل واحدٍ منا». (موقع قناة الحرة – 20 نوفمبر 2014 هاني فؤاد الغراش).

الموصل وتركيا

في عام 2009 زار الموصل (أحمد داوود أوغلو) وزير الخارجية التركي الأسبق وصرح مفتخراً: «في يوم من الأيام دخل أجدادنا هذه المنطقة وهم يركبون الخيول، وسيأتي يوم نعود نحن فيه إلى هذه المنطقة ولكن بمعدات حديثة».

لقد اقتطعت بريطانيا الموصل من الإمبراطورية العثمانية قبل سقوطها طبقاً لهدنة خاصة شملت تقسيم إرث العثمانيين، وسميت «هدنة مندوس». ولأن الموصل أخذتها بريطانيا دون قتال، فقد بقيت محل جدل شديد. فقد اعتبرتها تركيا خارج نطاق الإتفاقات التالية من الحرب العالمية الأولى، أما بريطانيا فقد أضافتها إلى بقية الأقاليم العراقية طبقاً لشكلها الجديد عامي 1920 و 1924.

وكانت الموصل محل خلاف بين بريطانيا وفرنسا بعد معاهدة سايكس بيكو، وانتهت بالوقوع ضمن النفوذ البريطاني.

بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وخروج الموصل من سلطة الدولة العراقية

عزمت تركيا على التدخل في الموصل، وصدر بالفعل قرار من برلمانها بالمشاركة في قوات التحالف عام 2004 ،لكن الذي منع دخولها بعض فصائل المقاومة العراقية السنية ،وهيئات دينية ، وتيار القوميين والوطنيين ، فتراجعت عن دخول العراق خوفاً من الفصائل السنية التي لا يمكن تبرير القتال ضدها.

واليوم يتحدث الإعلام التركي عن ضرورة التدخل قبل ضياع الموصل لكن تركيا لا تملك أوراقاً لهذا التدخل ، لأنها لم تحرص على صناعة أوراق للتدخل عسكرياً وسياسياً ودينياً ، كما فعلت إيران. حتى الفصائل السنية التي قد تؤيد تدخلها أصبحت مهمشة سياسياً. والكلمة العليا اليوم للحشد الشعبي والقوات العراقية بتأييد من إيران.

علماً بأن تركيا تقيم علاقات استراتيجية مع إقليم كوردستان الذي يرأسه مسعود البارزاني وتقوم بتدريب البشمركة والأسايش ، وأرسلت عام 2014 قواتها إلى هذا الإقليم ثم أرسلت في شهر ديسمبر 2015 قوات إلى محافظة نينوي قرب مدينة الموصل وقوام هذه القوات 150 مجنداً تحت حماية 25 دبابة ، وبعد اعتراض الحكومة العراقية بررت الحكومة التركية وجود هذه القوات ، بأنها لصد خطر المنظمات الإرهابية وتعني بها داعش.

*موقع ساسة بوست الالكترونية يناير 2016.

الموصل والشيعة

يرى كبار قادة الاحزاب والميليشيات أن دور الحشد في إستعادة الموصل مسألة محسومة وغير قابلة للنقاش .

على حين يرفض زعماء تيارات سياسية سنية بالأساس ، وكذلك نواب ومسؤولون محليون بمحافظه نينوى ،قطعيا دخول الميليشيات أرض المحافظة ، مخافة تكرار الأعمال الانتقامية التي سبق لهذه الميليشيات أن مارستها في مناطق سنية أخرى معتبرين أن الحشد سيكون عبئاً على معركة الموصل حيث سيوجهها وجهة طائفية تخدم تنظيم داعش بحد ذاته .

أعـاد النائـب السـابق لرئيـس الجمهوريـة العراقيـة أسـامه النجيفـى، طـرح فكـرة إقامـة إقليـم ضمـن حـدود محافظـة نينـوى التـي تشـهد بدايـة الحملـة الهادفـة إلى إسـتعادة مدينـة الموصـل مـن تنظيـم داعـش في معركـة توصـف بالمصيريـة . وعلـق بعـض السياسـيين عـلى هـذه الفكـرة بأنهـا إختبـار لفكـرة أنشـاء إقليـم سـنى أوسـع مـن محافظـة نينـوى ويشـمل محافظـة الأنبـار ليكـون بمثابـة سـتار سـني عـازل بـين نظامـي بغـداد ودمشـق الحليفـين لإيـران .

الموصل بعد داعش

تـدق اليـوم طبـول الحـرب لتحريـر الموصـل مـن سـيطرة داعـش وتحـرص القـوى المتصارعـة عـلى أن يكـون لهـا اليـد الطـولى في هـذا التحريـر ، ويمكـن تعـداد هـذه القـوى كالاتى :

1. القوات العسكرية الحكومية.
2. قوات الحشد الشعبى .
3. القوات الكوردية .
4. القوات التركية .
5. القوات والخبراء الأمريكان .

وتتضـارب مصالـح هـذه القـوى طبقـا لأهدافهـا الاسـتراتيجية المرسـومة وتنفيـذاً لمخططاتهـا الدوليـة والإقليميـة ومصالحهـا الاقتصاديـة والسياسـية .

هل ينقسم العراق بعد داعش؟

سيناريو تقسيم العراق ليس نظرية للمؤامرة ، أو دعوة للتخويف ، أو بدعة لأصحاب الأجندات الإقليمية والدولية ، بل سبق وأن ارتبط هذا المشروع بخارطة التقسيم في المنطقة. وليس من باب الاستهلاك والتكرار القول بأن فكرة تقسيم العراق خرجت من داخل إسرائيل، ولعل البعض من السياسيين العراقيين الذين استهوتهم تل أبيب قبل أو بعد 2003 وزاروها ، سمعوا ذلك مباشرة من بعض شخصيات الدولة العبرية الرسميين أو خبراء مراكز بحوث المستقبل ، حيث تم ترويج مشروع تقسيم المنطقة "طائفيا" كجزء من أمن كيانهم الصهيوني.

مشروع التقسيم سيصبح مطلباً في ظل الإحباط العام لدى العرب السنة الذي سيكون أكثر حدة خلال وبعد تحرير الموصل ، وتنظيف العراق من داعش ، بعد أن تحول سياسيوهم إلى شلل مصلحية متنازعة. الأميركان كرسوا ذلك وكذلك الإيرانيون، ولم يسعوا إلى حل يقدم بديلا جديدا من النخب العربية السنية النظيفة، ولم يتم وضع "الدينصورات السنية" في موقعها بمزبلة التاريخ. أمام انغلاق أزمة العراق السياسية وهيمنة الفساد ، وعدم وجود استعدادات للتنازل وسط الطريق، لن يصمد العراق الموحد أمام عاصفة تقسيمه التي باتت تلوح في الأفق. (د. ماجد السامرائي – جريدة العرب 2016/08/30)

معركة الرقه وتداعياتها

مدينة الرقة هي عاصمة محافظة الرقه ، ويكاد يصل سكانها المليون ، ومساحتها تبلغ سبعة آلاف ميل وستمائة ألف ، وتقع شمال ووسط سوريا وعلى الضفة الشمالية لنهر الفرات ، بمسافة 200 كم شرق مدينة حلب ، وتعتمد إقتصاديا على سد الفرات ، والزراعة ، وحقول النفط المجاورة ، بعد تاريخ طويل من الإزدهار بدءا من الدولة العباسية ، سيطرت عليها قوات

المعارضة السورية المسلحة عام 2013 فكانت أول محافظة تخرج عن سيطرة الدولة السورية ، ثم انسحبت منها أمام تنظيم داعش ، الذي لايزال يسيطر عليها حتى اليوم .

بدأت القوات الكوردية تشن هجوماً على داعش بالرقة في الأسبوع الأخير من شهر مايو 2016 لتحريرها من داعش ، تحت غطاء جوي من قوات التحالف على مواقعهم بريف الرقة الشمالي ، فقد قامت قوات سوريا الديمقراطية بالهجوم تجاه المدينة معقل داعش في سوريا .

إنطلق الهجوم من مدينة كوباني ، وتل أبيض ، والجزيرة ، وريف بلدة عين عيسى ، والهدف هو السيطرة على مثلث تل أبيض ، وهي مدينة في الجزيرة العليا لسوريا تابعة لمحافظة الرقه يشكل بها العرب والتركمان 90% من سكانها ، وعين عيسى بشمال غرب مدينة الرقة دون التوغل في المدينة ، وقامت بالهجوم قوات سوريا الديمقراطية، بما فيها وحدات حماية الشعب الكوردي ، بالتنسيق مع التحالف الدولي ، والعشائر في الرقة ، وكثفت القوات الجوية الأمريكية ، قصفها من أجل توجيه ضربة لتنظيم داعش بمعقله في مدينة الرقة .

وهناك ما يقرب من 25 مستشارا من الجيش الأمريكى بمدينة عين عيسى شمال الرقة ، يشرفون على تدريب المقاتلين الكورد من وحدات حماية الشعب ، وتتخذ الطائرات المروحية الأمريكية من معمل الأسمنت بالقرب من قرية (خراب عشق) مقراً لها ، فتحول المكان إلى قاعدة تدريب عسكرية ، وقال وزير الخارجية الروسي بأن موسكو مستعدة للتنسيق مع الكورد و واشنطن ، لطرد تنظيم داعش من الرقة .

ومع الأسبوع الأول من شهر يونيو ، تقدم الجيش السوري تجاه الرقة مشتبكا مع قوات داعش من الريف الغربي لمحافظة الرقة ، وبغطاء جوي روسي واستطاع الجيش السوري بسط سيطرته على قرية أبو العلاج ، وتلة السيرياتيل ، والتلال المحيطة ، وتبعد عن مفرق زكية بريف الرقة الغربي بمسافة لا تقل عن 7 كيلو ولا تزيد عن 9 كيلو .

حاولت القوات السورية التقدم إلى طريق الرقة حلب وبحيرة سد الفرات في الطبقة ، وفي نفس الوقت كانت قوات داعش تواجه هجمات واسعة على مواقعه بالريف الشمالي حيث ينفذ التحالف المكون من قوات سوريا الديمقراطية ، وعشائر محلية ، ووحدات من الجيش السوري الحر ، بدعم جوي من التحالف تقوده الولايات المتحدة . وأشارت وكالة سبوتنيك الروسية إن الجيش السوري سيطر على نقطة تقاطع الرصافه ، وتقع جنوب غرب الرقة ، ومخفر شرطة الطرق العامة على الطريق الدولى للرقة ، لتصبح قواته على مسافة 18 كم من تقاطع مدينة الطبقه.

قبل هذا الهجوم أعلن (غريب حسو) ممثل حزب الإتحاد الديمقراطى لأكراد سوريا في كردستان العراق : إن مدينة الرقة بعد تحريرها من داعش ستنضم للنظام الفيدرالي الذي أسس له الكورد في شمال سوريا ، وتحاول القوات الكوردية وحلفاؤها قطع الرقة عن الحدود مع تركيا التي تمتد عبرها قوات تزويد الإرهابيين بالتعزيزات والذخيرة . إن قوات التحالف الدولي بقيادة واشنطن ، تدعم تقدم القوات الكوردية باتجاه الرقة بغارات جوية مكثفة ، مع إن واشنطن ترفض فكرة النظام الفيدرالي في شمال سوريا .

في شهر مارس أعلن الكورد خلال مؤتمر (رميلان) بريف الحسكة عن تأسيس نظام فيدرالي يضم 3 مناطق تتمتع بحكم ذاتي ، أقامتها جماعات كوردية عام 2014 ، وأعلن المشاركون في المؤتمر أن المناطق المحررة سوف تنضم إلى النظام الفيدرالي وستسمى إتحاد شمال سوريا روجافا وسيكون فيه تمثيل لكافة الأعراق.

لقد تمكنت الوحدات الكوردية خلال أربعة أيام التي مرت على انطلاق الحملة لتحرير الرقه ، من إحراز تقدم بمسافة تقدر بستة كيلو مترات بإتجاه المدينة ، وحررت ثماني بلدات وقرى من ايدي داعش الإرهابية.

إن خطة الولايات المتحدة تكوين قوة عربية كوردية مشتركة لتكون رأس حربه في عملية تحرير محافظة الرقة من داعش ، والهدف هو عزل المحافظة عن خطوط الإمدادات في الشمال مع تركيا وفي الرقة مع العراق ، لكن الخطط

تغيرت وتحولت قوات سوريا الديمقراطية إلى أقصى الشمال الشرقى في سوريا في محافظة الحسكه لمحاربة داعش .

إن أسباب التحول هو رفض حماية الشعب الكوردي خوض معارك بيئية ديمغرافية غير حاضنة لها لهذا حافظت القوات الكوردية على تواجدها في البلدات الكوردية شمالى الرقة (تل أبيض) دون التوجه جنوباً حيث البلدات العربية ، كما أن ذلك يتفق مع رغبة واشنطن في جعل المعركة ضد التنظيم في العراق وسوريا موحدة ضمن حرب واحدة ، لهذا وجدت الإدارة الأمريكية ضرورة التركيز على الحسكه لملاصقتها الحدود العراقية ، وهناك سبب ثالث ، حيث تلاقت الرؤية الأمريكية مع الرؤية الكوردية ، إذ وجدت وحدات حماية الشعب الكوردية في الحسكة مغنماً كبيراً أكبر من الرقة حيث حقول النفط التي توفر لها مورداً مربحاً ، كما أن السيطرة على الحسكه تؤمن معاقل للكورد على الشريط الحدودي .

إن محاربة تنظيم داعش في الرقة تتطلب حسابات أخرى ، فالكورد غير قادرين وحدهم على محاربة التنظيم في الرقة ،وهو مطلب أمريكي تركي ، كما أن دخول الكورد قد يوحد صفوف داعش مع السنه في الرقة ، بسبب الأكثرية العربية فيها ، مع أن الإدارة الأمريكية تعمل على التفوق للمكون العسكري الكوردي ، لكنها لا تمنع من توسيع دائرة المقاتلين العرب ، بضم مجموعات أخرى لقتال التنظيم ، مثل الجيش الثوري في الرقة ، وإدخال قوات كوردية من خارج وحدات حماية الشعب الكوردي ، و وحدات حماية المرأة و من بشمركة روجافا وهم الجنود الكورد المنشقون على النظام ممن تلقوا تدريبات في كوردستان العراق.

وتتفق واشنطن وأنقره على عدم حصر الوجود العسكري الكوردي بوحدات حماية الشعب YPGالجناح العسكري لحزب الإتحاد الديمقراطى PYD، كي تكون السيطرة في الشمال الشرقي من سوريا بأياد متنوعة أثنيا ، تضم العرب والكورد بمجمل مكوناتهم السياسية للحيلولة دون خضوع الكورد لقوة واحدة تهيمن على القرار الكوردي بمفردها وتمارس سياستها ضمن أهدافها والحيلولة

دون بقـاء القـوات العربيـة وحدهـا ، فوجـود قـوات كورديـة رديفـة يمنـع القـوى العربيـة مـن الخـروج عـلى الهـدف الأمريـكي .

لقـد عـبر رئيـس إقليـم كوردسـتان العـراق مسـعود البـارزاني أمـام وزيـر الدفـاع الفرنـسى ، عـن اسـتعداده للتدخـل في الرقـة السـورية ، وأن هنـاك مفاوضـات تجـري حـول ذلـك مـع أمريـكا لإشراك قـوات البشـمركة في تحريـر الرقـة ضمـن قـوات مشـتركة لمحاربـة داعـش مرتبطـة بالتحالـف الـدولي.

إن هـذه الخطـوة قـد تـؤدي إلى أزمـة بـين المكونـات الكورديـة التـي تتبـع (المجلـس الوطنـي الكـوردي قـي سـوريا) المدعـوم مـن كوردسـتان العـراق وتحظـى بعلاقـات جيـدة مـع تركيـا ، وكانـت وحـدات الحمايـة الكورديـة وحركـة المجتمـع الديمقراطـي الكورديـة هددتـا بعمليـات اعتقـال وبالمواجهـة في حـال تـم إدخـال بشـمركه روجافـا إلى سـوريا وترفـض وحـدات الحمايـة الكورديـة وجـود أي مكـون عسـكري كـوردي خـارج إمرتـه.

كل هـذه التناقضـات تسـببت في تأجيـل معركـة الرقـة منـذ مطلـع الشـهر المـاضي وهـي نفسـها التـي يمكـن أن تـؤدي الى تغيـير في التحالفـات الكورديـة مـع القـوى الاقليميـة والدوليـة ، فالرقـة مـن حيـث توسـطها بـين الحسـكه في الـشرق وحلـب في الغـرب تعتـبر عصـب المنطقـة الشـمالية ، وهـي الشريـان الاسـاسي للتواصـل الكـوردي في سـوريا.

في الواقـع لايمكـن تحريـر الرقـة والخـلاص مـن داعـش في سـورية إلا عـبر توافق دولي جديـد يظهـر أن جميـع المتصارعـين الإقليميـين والدوليـين حققـوا إنجـازا تاريخيا.

لم تـدرك السـلطة السـورية أوليـاً تلـك المعادلـة حـين اطلقـت الجيـش السـوري وحلفـاءه باتجـاه الطبقـة والرقـة لكنهـا فهمتهـا بعـد ذلـك ، وتراجعـت نحـو صراعاتهـا التقليديـة بذريعـة ابتعادهـا عـن قواعـد إمدادهـا اللوجسـتي ودعمهـا العسـكري.

عـلى حـين نشـهد هـذه الايـام القـوى الكورديـة وقـد تجـاوزت الخطـوط الحمـراء التـي رسـمتها تركيـا لتتقـدم هـذه القـوى غـرب نهـر الفـرات. فالكـورد أحسـنوا الظـن بحلفائهـم الأمريـكان ، وطمعـوا في تأسـيس كيـان كوردي ، شـمال سـورية دون

عوائـق أو مناطـق عازلـة ، وهـذا القـرار شـبيه بإعـلان الحـرب ضـد الدولـة التركيـة والدولـة السـورية معـاً.

وهـذا مـا يفـسر التطـورات الأخـيرة التـي أدت إلى التفاهـم الـتركي السـوري برعايـة إيرانيـة، لوقـف تقـوم القـوات الكورديـة وإقامـة حاجـز كبـير يفصـل بـين أحلامهـا الشـمالية وذلـك بدخـول الجيـش الـتركي إلى الأراضي السـورية واحتـلال مدينـة جرابلـس بعـد التفاهـم مـع داعـش عـلى مغادرتهـا . كـما أعلنـت تركيـا عـن عزمهـا عـلى مواصلـة التقـدم نحـو الجنـوب إلى مدينتـي منبـج والبـاب والسـيطرة عليهـما.

الخلاصة :

إن احتـلال الموصـل واحتـلال الرقـة ، وإعـلان قيـام دولـة الخلافـة في العـراق والشـام هـو نتيجـة لصراعـات المحـاور الدوليـة والحلفـاء الاقليميـين ، ولا يمكـن اعتبـار داعـش ظاهـرة اسـلامية منعزلـة عن هـذه الصراعـات والمخططات السياسـية التوسـعية التـي أعلنهـا جـون فوسـتر دالاس وزيـر الخارجيـة الأمريكيـة في السـتينات والوصـول إلى تحقيقهـا (بتفخيـخ الإسـلام مـن الداخـل) فالحـرب الأمريكيـة التـي شـنها أوبامـا آثـرت القيـادة مـن الخلـف ، وخـوض معاركهـا بالبيـادق الإقليميـة فتحصـد بذلـك المكاسـب دون دفـع شيء مـن الخسـائر البشريـة والماديـة .

أمـا روسـيا الاتحاديـة فقـد وجدتهـا المناسـبة لتخـرج مـن إطـار الدولـة الإقليميـة إلى رئاسـة القطـب الـدولى المنـاوىء للولايـات المتحـدة وحلفائهـا، عـلى أن يكـون العـراق وسـوريا مسرحـاً لإنجـاز اهدافهـا تحـت سـتار الدفـاع عـن القانـون الـدولى وتأمـين حـدوده مـن الهجـمات الإرهابيـة بحـرب إسـتباقية تخوضهـا في أراضى الـشرق الأوسـط.

الكورد وحلم الوطن القومي

د. عايد المناع

أكاديمي وباحث سياسي - الكويت

الكورد أمة من أقدم وأعظم أمم غرب آسيا إذ يؤرخ للتواجد الكوردي (427-355) قبل الميلاد وتبلغ المساحة الجغرافية لهذه الأمة ما بين 409650كم2 - 500.000 كم2 وهي مساحة تزيد على مساحة العراق وتبلغ نصف مساحة إيران، لكن هذه الجغرافيا المترامية تتوزع بين عدد من الدول الإقليمية المحيطة والمجاورة لكوردستان الكبرى (194,400 كم2 في تركيا ، 124,950 كم2 في إيران، 72,000 كم2 في العراق، سوريا 23,000 كم2 تقديريا).

هذه الجغرافية المقسمة بين الدول الإقليمية المشار إليها آنفا ينتمي إليها ما بين 30-35 مليون مواطن كوردي.

لن نبحث في أعماق التاريخ الكوردي وقيام إمارات وممالك وإمبراطوريات كوردية فهذه صفحات تاريخية شديدة القدم إنما سنناقش في هذه الورقة باختصار شديد وضع كوردستان الكبرى ما بعد اتفاقية سايكس بيكو 1918 ومؤتمر الصلح في باريس 1919 واتفاقية سيفر 1920 ومؤتمر لندن 1921، ومؤتمر لوزان 1923.

حاول الكورد التقرب من بريطانيا إذ أجرى الدبلوماسي الكوردي شريف باشا اتصالات مع الانجليز عام 1914 وعرض عليهم خدماته لكن الانجليز لم يستجيبوا له إلا بعد احتلالهم للعراق عام 1918 ، إذ التقى السفير بيرسي كوكس بشريف باشا لكن كوكس اكتفى بالاستماع فقط.

في عـام 1916 تمخضـت اجتماعـات وزراء خارجيـة روسـيا وبريطانيـا وفرنسـا عـن مـا عـرف باتفاقيـة سـايكس-بيكو والتـي تضمنـت تقسـيم تركـة الدولـة العثمانيـة التـي أصبحـت هزيمتهـا وحليفتهـا ألمانيـا تلـوح في الأفـق وبمـا أن القسـم الأكـبر مـن كوردسـتان الكـبرى كان خاضعـا لسـيطرة الدولـة العثمانيـة فقـد شـمله التقسـيم دون مراعـاة للخاصيـة القوميـة للأمـة الكورديـة، لكـن بالرغـم مـن أن هـذه الاتفاقيـة قـد أحبطـت آمـال الكـورد في تحقيـق حلـم قيـام وطـن قومـي موحـد إلا أن جهودهـم (الكـورد) تواصلـت لتحقيـق هـذا الحلـم الجميـل، فقـد بذلـوا جهـودا مضنيـة لإيصـال صوتهـم إلى مؤتمـر الصلـح في باريـس عـام 1919، إذ خولـت العشـائر والجمعيـات السياسـية شريـف باشـا لتمثيلهـا وطـرح مطالـب الكـورد المشروعـة عـلى المؤتمـر. وقـد قـدم شريـف باشـا خريطتـين لكوردسـتان الأولى في 1919/3/21 والثانيـة في 1920/3/1 وطلـب مـن رئاسـة المؤتمـر تشـكيل لجنـة دوليـة تتـولى تخطيـط حـدود الإقليـم الـذي تتواجـد فيـه كوردسـتان وفقـا لمبـدأ القوميـات لتصبـح كوردسـتان تشـمل المناطـق التـي تقطنهـا أغلبيـة قوميـة كورديـة لكـن بالرغـم مـن إدانـة رئيـس مؤتمـر الصلـح جـورج كليمنصـو لتصرفـات الدولـة التركيـة تجـاه الأقليـات العرقيـة إلا أن الوضـع لم يتغـير بالنسـبة للكـورد غـير أن تطـورا فريـدا حـدث لصالـح القضيـة الكورديـة في معاهـدة سـيفر 1920 إذ نصـت هـذه الاتفاقيـة عـلى تحقيـق حـل المشـكلة الكورديـة عـلى مراحـل وإذا اجتـاز الكـورد هـذه المراحـل وطالبـوا بالاسـتقلال ورأت دول الحلفـاء أهليـة الكـورد لذلـك فـإن الاسـتقلال يصبـح أمـرا واقعيـا وعـلى الحكومـة التركيـة الاعـتراف بذلـك وهـذا أول اعـتراف دولي بحـق الشـعب الكـوردي في تقريـر المصـير، لكـن معاهـدة سـيفر التـي وصفهـا مصطفـى كـمال أتاتـورك بأنهـا بمثابـة حكـم إعـدام عـلى تركيـا، لم تتـم ترجمـة كلماتهـا إلى أفعـال بـل أن تركيـا نجحـت في مؤتمـر لنـدن 1921 بمنـع المؤتمرمـن اتخـاذ قـرارات تنـزع سـيطرتها عـن الأقليـات القوميـة وأهمهـا الكـورد ليـس هـذا فحسـب بـل أن الحكومـة التركيـة ألغـت التزاماتهـا باتفاقيـة سـيفر ونجحـت في معاهـدة لـوزان 1923 بـأن تعطـي وعـودا بمنـح سـكان تركيـا الحمايـة التامـة والحريـات دون تمييـز ولم تتـم الإشـارة إلى الكـورد الذيـن اعتـبروا هـذه

الاتفاقية ضربة قاسية لطموحاتهم القومية.

يتضح من الاتفاقيات والمعاهدات والمؤتمرات المشار إليها آنفا أن دول التحالف الغربي (فرنسا، بريطانيا) التي هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وتقاسمت تركتها من الأقاليم والدول قد حرمت الكورد من الحق في تقرير المصير، بل إن الدول الغربية التي أبقت على كوردستان إيران على وضعها الذي تكرّس بعد معركة جالديران (1514) ، بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية فإنها (الدول الغربية) جزأت التركة الكوردية من الدولة العثمانية ما بين عدة دول مجاورة (تركيا- العراق-ايران- سوريا). وهنا نتساءل إذا كان الحلفاء الغربيون قد تقاسموا تركة الدولة العثمانية فيما بينهم فلماذا قسموا كوردستان الكبرى بين دول الجوار وإذا كانت تجزئة كوردستان الكبرى سابقة للتوغل الغربي في الشرق الأوسط فلماذا لم يأخذ الحلفاء مطالب الكورد بقيام وطن قومي كوردي على كل الأراضي التي تتواجد فيها أغلبية كوردية بعين الاعتبار؟ إن عدم قيام وطن قومي كوردي موحد في العصور السابقة للتوغل الغربي ليس مبررا منطقيا لحرمان الأمة الكوردية من حقها في تقرير مصيرها وإذا كان مفهوما الإبقاء على تبعية المناطق ذات الأغلبية الكوردية في العراق وسوريا لحكومات هاتين الدولتين واللتين كانتا من تركات الدولة العثمانية فلماذا لم يجبر الحلفاء المنتصرون تركيا المهزومة في الحرب العالمية الأولى على رفع يدها عن المناطق ذات الأغلبية الكوردية والتي كانت هي محور المطالب القومية للزعامات الكوردية؟

باعتقادنا أن الحلفاء فضلوا تجزئة كوردستان الكبرى جغرافيا وسكانيا إلى ما هو أسوأ مما كان عليه الوضع قبل التوغل الغربي ربما للأسباب التي تطرقت لها اتفاقية سيفر 1920 ، وهي عدم الأهلية السياسية وتجنبا لإستفزاز القوتين الإقليميتين الكبيرتين تركيا وإيران .

لقد جرت بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945) أكثر من محاولة كوردية لتغيير الأمر الواقع وقد يكون من أهمها قيام قاضي محمد ومصطفى البارزاني بإعلان استقلال جمهورية مهباد في 22 يناير 1946 في كوردستان إيران، لكن

عمر هذه الدولة لم يدم أكثر من 11 شهرا ، ودفع قاضي محمد حياته ثمنا لذلك حيث تم إعدامه.

في العراق خاض الكورد صراعات مسلحة ضد سيطرة حكومة بغداد وبعد عقدين من الصراع المسلح توصل الطرفان العراقي العربي والكوردي إلى اتفاقية 11 آذار 1970 للحكم الذاتي لكوردستان ، لكن يبدو أن طرفي الاتفاقية لم يلتزما بتنفيذها إذ تجددت المعارك بدعم إيراني للكورد لم يتوقف إلا بعد توقيع العراق وإيران على اتفاقية الجزائر في 6 آذار 1975 مما أدى إلى انهيار التمرد الكوردي لكن الحرب الثالثة ما بين الحكومة العراقية والكورد تجددت بعد نشوب الحرب بين العراق وإيران سبتمبر 1980 والتي استمرت ثمانية أعوام غير أن انشغال حكومة صدام حسين في الحرب مع إيران لم يشغلها عن قمع التمردات الكوردية. ولم يتسن للكورد العراقيين أن يتنفسوا الصعداء إلا بعد هزيمة جيش صدام حسين في حرب تحرير الكويت في 1991 ، إذ انتفض شمال وجنوب العراق ضد نظام صدام الذي كان رد فعله جهنميا غير أن قوى التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة وفرت للكورد حماية عسكرية أتاحت لهم أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وقد تعزز هذا الوضع بعد اجتياح الأمريكيين والبريطانيين للعراق في 9/ابريل/2003، إذ أصبح إقليم كوردستان أشبه ما يكون بالدولة المستقلة وقد أدى اجتياح ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) إلى تمكين الكورد في العراق من بسط نفوذهم على المناطق المتنازع عليها مع حكومة بغداد مثل كركوك وسنجار وغيرهما، كما أن الصراع مع داعش وفي سوريا عموما أتاح لكورد سوريا أن يظهروا كقوة عسكرية يمكن التعويل عليها في معادلة الصراع المسلح لكن مشكلة كورد سوريا قد تكون أكثر تعقيدا من مشكلة كورد العراق وتتمثل هذه المشكلة في حساسية تركيا الشديدة تجاه قيام أي كيان كوردي مستقل وذي حكم ذاتي مجاور لما تطلق عليهم أتراك الجبل وهي تسمية تنكرية لمواطنيها الكورد وتدخل تركيا عسكريا في جرابلس السورية كان أهم أهدافه المعلنة هو منع «القوى الإرهابية» من الاقتراب من حدودها في إشارة واضحة

لحـزب العـمال الكوردسـتاني PKK والقـوى الكورديـة السـورية المتعاطفـة مـع مطالـب كـورد تركيـا.

إن قيـام وطـن قومـي كـوردي موحـد لـن يتحقـق مـا لم يتـم إعـادة رسـم خرائـط جديـدة للـشرق الأوسـط ولمـا كانـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وروسـيا ومـن خلفهـا بعـض الـدول الأوربيـة وإسرائيـل هـي القـوى المؤهلـة عسـكريا وسياسـيا للقيـام بـدور سـايكس- بيكـو جديـد، فـإن إمكانيـة تحقيـق حلـم الوطـن القومـي الكـوردي قـد تتحقـق جزئيـا وبالـذات في العـراق وسـوريا في حـين سـيبقى الثقـل الجغـرافي والسـكاني الكـوردي في تركيـا و إيـران ليـس لـه مـن هـذا الحلـم إلا المطالبة بحكـم ذاتي.

مراجع هذه الورقة:

1) اتفاقية سايكس- بيكو 1918
2) مؤتمر الصلح في باريس 1919
3) اتفاقية سيفر 1920
4) مؤتمر لندن 1921
5) مؤتمر لوزان 1923
6) محمد أمين زكي - تاريخ الدول والإمارات الكوردية.
7) مذكرة شريف باشا إلى مؤتمر باريس.
8) عبدالله محمد العلباوي - جذور المشكلة الكوردية.

النظرة المستقبلية

للأقليم السني في العراق

قراءة سعودية

د.عبدالله الشمري

باحث واكاديمي من المملكة العربية السعودية

سبتمبر 2016

بـدأت مرحلـة جديـدة مـن العلاقـات السـعودية -العراقيـة بعـد الإحتـلال الأمريـكي للعـراق في عـام 2003م اثـارت الكثـير مـن المعضـلات والتحديـات أمـام صانـع القـرار السـعودي تمـس مسـائل أمنيـة وسياسـية عليـا مثـل تداعيـات تصاعـد ظاهـرة الطائفيـة السياسـية بالشـكل الـذي يهـدد وحـدة الأراضي العراقـي وبقـاء العـراق في كيـان موحـد ومـا يحملـه مـن ترتيبـات سـلبية عـلى الإسـتقرار الإقليمـي وموقـع المملكـة في السياسـات العربيـة بإعتبارهـا أحـد أهـم دول الجـوار العراقـي، بالإضافـة إلى المسـئولية الدينيـة للحكومـة السـعودية بخصـوص ضبـط هـذة الظاهـرة إنطلاقًـا مـن موقعهـا القيـادي في العـالم الإسـلامي ومـن مبـادىء سياسـاتها الخارجيـة التـي تعتمـد مبـادىء التضامـن الإسـلامي والتوسـط بـين الفرقاء المسـلمين لحـل خلافاتهم. إرتكـز القـرار السـياسي السـعودي تجـاه العـراق بعـد دخـول الإحتـلال الأمريـكي عـلى مبـاديء فرضهـا المُحـدد الدينـي في السياسـة الخارجيـة السـعودية مثـل:

التضامـن الإسـلامي وتوجيـه المسـاعدات والتوسـط لحـل الخلافـات بـين المسـلمين في تعامـل الحكومـة السـعودية مـع الخلافـات السـنية – الشـيعية في العـراق مـن دون تأييـد طـرف عـلى حسـاب الأخـر. كـما إرتكـز القـرار السـياسي السـعودي تجـاه العـراق عـلى مبـاديء فرضهـا المُحـدد القومـي العـربي مثـل التضامـن العـربي ووحـدة الأراضي العراقيـة وضرورة إجـراء مصالحـة وطنيـة شـاملة ومنـع التدخـل في الشـئون الداخليـة العراقيـة مـن قبـل دول الجـوار العراقـي مثـل إيـران وتركيـا. مـما يؤكـد عـلى أن السياسـة الخارجيـة السـعودية تجـاه العـراق لم تحكمهـا عوامـل طائفيـة متمثلـة في دعـم العراقيـين السـنة عـلى حسـاب الشـيعة، وأنـه مـن الصعـب أن تلجـأ الحكومـة السـعودية لمثـل هـذا الخيـار لأنـه سـيؤجج ظاهـرة الطائفيـة السياسـية في العـراق والتـي تنعكـس بالسـلب عـلى أمـن وإسـتقرار السـعودية وسياسـة حكومتهـا الخارجيـة.

ولعـب الإحتـلال الأمريـكي للعـراق عـام 2003م والذي أدى إلى إسـقاط نظـام الرئيس العراقـي صـدام حسـين وحـل حـزب البعـث ومؤسسـات الدولـة دور في التمهيـد لإنشـاء نظـام سـياسي جديـد يعتمـد عـلى نظـام المحاصصـة والطائفيـة السياسـية. والـذي جـاء كنتيجـة لتزامـن عمليـات إحـلال مؤسسـات الدولـة وإسـقاط نظـام حـزب البعـث العراقـي مـع تصاعـد الهويـات المذهبيـة (السنية-الشـيعية) والهويات دون القوميـة (كرديـة-عربيـة)، ولجـوء العراقيـين إلى إنتمائاتهم المذهبية والعشـائرية كبديـل عـن الهويـة الوطنيـة العراقيـة بعـد فشـل النظـام السـابق في تحقيـق مبـدأ المواطنـة الـذي يقـوم عـلى المسـاواة بـين المواطنـين في الحقـوق والواجبـات. حيـث إتسـمت الحيـاة السياسـية العراقيـة والتنافـس السـياسي عـلى السـلطة بصبغـة طائفيـة إتضحـت مـن خـلال ظهـور الأحـزاب السياسـية والتحالفـات الإنتخابيـة في العـراق عـلى أسـاس دينـي مذهبـي أو دون قومـي مثـل حـزب الدعـوة وحـزب المجلـس الأعـلى الإسـلامي العراقـي والتيـار الصـدري وتحالفهـم الإنتخـابي (الإئتـلاف العراقـي الموحـد)، حـزب الإتحـاد الوطنـي الكردسـتاني والحـزب الديموقراطـي الكردسـتاني.

كـما بـدأت تسـتمد هـذة القـوى السياسـية شرعيتهـا مـن المجتمعـات التـي تمثلهـا

مذهبيًا وهو ما أضعف مفهوم المواطنة في العراق بعد دخول الإحتلال الأمريكي، وظهرت خطابات سياسية تشير إلى توجه هذة الأحزاب لحشد أتباعها من الطائفة المذهبية أو الطائفة القومية خلف تحقيق أهدافها السياسية. حيث دعى حزب المجلس الأعلى الإسلامي العراقي أثناء إجتماعات الإعداد لدستور عراقي جديد لإعتماد النظام الفيدرالي في العراق وتقسيمه إلى ثلاث مناطق: المنطقة الجنوبية الشيعية (مليئة بالنفط تمتد من البصرة إلى كربلاء) وإقليم كردي (يضم الموصل والسليمانية ودهوك) وإقليم سني يضم شمال العراق. من ناحية أخرى إنعكست ممارسة الطائفية السياسية في السياسات التي إتبعتها الخكومات العراقية بعد إنتخابات 2005م التي أخرجت حكومة ألفها تحالف الإئتلاف العراقي الموحد وإنتخابات 2010م التي ألف حكومتها حزب الدعوة تؤكد سعي السلطة السياسية الجديدة في العراق على الهيمنة والبقاء في الحكم كممثل لطائفة الأغلبية (60% من الشعب العراقي ينتمون للمذهب الشيعي) وتهميش الطوائف السنية والكردية. فقد تم تعيين كبار قادة الجيش ومسئولي وزارة الإعلام وكبار أجهزة الدولة من الطائفة الشيعية، وتم توسيع سلطات رئيس الوزراء ومستشاريه وسط تمييز ضد الطائفة السنية عبر إتهام الكثير من قادة العشائر السنية والساسة العراقيين بإنتمائهم لحزب البعث وبتهمة الإرهاب (مثل: طارق الهاشمي)، بالإضافة إلى المماطلة في دفع مستحقات حكومة إقليم كردستان العراق من إيرادات النفط العراقي، وتراجع الحكومة عن إتخاذ إجرائات المصالحة الوطنية بين الأطراف العراقية. ولعبت السياسة الخارجية الإيرانية في العراق دور محفز لتطور ظاهرة الطائفية السياسية ؛ حيث تركزت أهداف السياسة الإيرانية في العراق بعد 2003م على تقويض أي نظام سياسي عراقي جديد حتى لا يمثل تهديد أمني عليها مماثل لتهديد نظام الرئيس الأسبق صدام حسين ومنع ظهور نموذج سياسي وديني ناجح في العراق قد يعتبر بديل عن النظام السياسي الإيراني في المستقبل. وإستخدمت الحكومة الإيرانية أدوات سياستها الخارجية السياسية والعسكرية والثقافية الدينية لتفعيل هذة السياسة وتطبيقها في العراق والتي تمثلت في:

1) توفير الإستشارات للأحزاب العراقية الشيعية مثل حزب الدعوة الإسلامي الذي يتبنى أفكار الثورة الإيرانية وفكرة ولاية الفقيه، وحزب المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، وتدخلت لحل الخلافات بينهم وأقنعتهم بإنشاء تحالفات للمشاركة في عملية كتابة الدستور العراقي في يناير 2005م والإنتخابات البرلمانية التي تبعها تشكيل حكومة الرئيس نوري المالكي (رئيس حزب الدعوة السابق) في أبريل 2006م وديسمبر 2010م.

2) توفير الدعم المالي والعسكري والتدريبي اللازم بواسطة قوات الحرس الثوري الإيراني للميليشيات الشيعية العراقية المسلحة التي تم إنشائها أثناء الحرب العراقية – الإيرانية (1980 – 1988) ثم عادت إلى العراق بعد 2003م مثل ميليشيا بدر (الجناح العسكري للمجلس الأعلى الإسلامي العراقي) والكتائب الأخرى مثل جيش المهدي التابع للإمام مقتضى الصدر وكتائب عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله العراقي وكتائب السيدة عائشة وكتائب الإمام علي . وقد إستغلت الحكومة الإيرانية دخول تنظيم داعش الإرهابي إلى مدينة الموصل وغاراته على مدينة بغداد عام 2014م في تجميع الميليشيات الشيعية تحت سقف واحد وهي قيادة الحشد الشعبي التي أصبحت جزء من وزارة الداخلية العراقية، إلا أن هذة القوات تستمد قوتها العسكرية والسياسية من قادتها وقوات الحرس الثوري الإيراني وليس من وزارة الداخلية العراقية.

3) الترويج للنموذج الإيراني في التشيع والأفكار الإيرانية المتعلقة بمبدأ ولاية الفقيه وجذب أكبر عدد ممكن من الأئمة للدراسة في مدينة قم بديلًا عن مدينة النجف عبر منح دراسية متعددة، بالإضافة إلى محاولتها التأثير في أعمال المؤسسات التابعة للمرجعية الدينية العليا في العراق (أية الله علي السيستاني) وإنشاء الحوزات المختلفة كشكل من أشكال القوة الناعمة لمدينة قم الإيرانية ومرجعيتها .

ويثير التصاعد المستمر لظاهرة الطائفية السياسية في العراق مجموعة من التداعيات والمعضلات أمام صانع القرار في السعودية تتمثل في تداعيات الطائفية السياسية.

أولًا: على أمن الخليج ونظمه وحال السلم الإجتماعي والتعايش السلمي بين الطائفتين السنية والشيعية داخل السعودية وباقي دول مجلس التعاون.

ثانيًا: الدور الذي تلعبه الطائفية السياسية العراقية في تصاعد التطرف والتشدد السني المتمثل في إنتشار الأفكار المتشددة لتنظيم القاعدة وتمدد تنظيم داعش الذين يستهدفون السعودية ودول مجلس التعاون بأساليب وطرق مختلفة ومدمرة.

ثالثًا: تداعيات الطائفية السياسية العراقية وتهميش الطائفة السنية العراقية على موقع السعودية في العالم السني وشرعية هذا الموقع بين دول العالم الإسلامي وأمام المواطن السعودي.

رابعًا وأخيرًا: التداعيات السلبية حول مستقبل وحدة الأراضي العراقية وما قد يتبع هذا التهديد من حالة فوضى إقليمية وتقسيم للعراق ودول مجاورة له مثل سوريا والأثار المترتبة لذلك على حركة التجارة العالمية وأسعار النفط مما يؤثر على موقع السعودية العالمي كضامن للأمن والإستقرار الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط.

وتظهر معضلة أخرى في تصاعد ممارسات الطائفية السياسية أمام السياسة الخارجية السعودية ترتبط بموقع السعودية في العالم الإسلامي. حيث تثير حالة التهميش الممنهج والإنتهاكات التي تقع في حق السنة العراقيين وإستمرار حالة التوتر الطائفي في العراق إشكالية أمام الحكومة السعودية التي تستمد شرعية موقعها في العالم الإسلامي وفي منظمة التعاون الإسلامي بإعتبارها حاضنة للحرمين الشريفين وتوليها مسؤولية التوسط لحل الخلافات وحقن الدماء بين المسلمين وتبنيها مبدأ التضامن الإسلامي في سياستها الخارجية الذي يقوم على توجيه المساعدات ونصرة المستضعفين. كما يثير هذا الأمر إشكالية كبيرة متعلقة بصورة الحكومة السعودية في الداخل أمام المواطن السعودي، حيث تفرض هذة المعضلة على صانع القرار السعودي تقديم مبادرات التوسط لحل الخلافات داخل العراق والتشدد في وجه أي ممارسات أو إنتهاكات حكومية وغير حكومية تقع في حق السنة العراقيين.

وأخيرًا هو إزدياد تمثل الشكوك حول مستقبل وحدة العراق وبقاءه ضمن كيان موحد وإنعكاسات ذلك الأمر على السعودية معضلة أخرى تتركها ظاهرة الطائفية السياسية والطابع طائفي على الحياة السياسية في العراق. إلى جانب تداعيات إستقلال إقليم عراقي شيعي في جنوب العراق على الحدود الشمالية الشرقية للسعودية والتي تقارب المدن ذات الأغلبية الشيعية في السعودية، تظهر تداعيات إقليمية سلبية أخرى على السعودية من جراء وقوع سيناريو التقسيم. حيث تكتسب السعودية موقعها الهام في النظام الدولي والإقتصاد العالمي من منطلق أنها دولة تتبع سياسات تهدف إلى حفظ الأمن والإستقرار الإقليمي ومن منطلق أنها تلعب دور مسئول في حماية حركة التجارة الدولية عبر مضيق هرمز وباب المندب والبحر الأحمر وقناة السويس لإعتبارات موقعها الجغرافي وإعتبارها أكبر مصدر للنفط في العالم. فمن شأن وقوع سيناريو إنقسام دولة مجاورة للسعودية مثل العراق والتداعيات التي سترافقه من خلافات قد تستمر بين الأقاليم العراقية المختلفة وتصاعد الميليشيات المسلحة وأدوار الفاعلين من غير الدول إقليميًا أن يزيد الشكوك حول أهلية وإستحقاق السعودية لتحمل مسئولية حفظ الأمن والإستقرار الإقليمي، وأن يثير الكثير من التساؤلات حول مستقبل السعودية. من جهة أخرى، يرتبط تأثير تزايد الشكوك حول وحدة دولة عربية مجاورة للسعودية على موقع السعودية كفاعل عربي مؤثر في السياسات العربية والذي إزدادت أهميته وثقله عقب التغيير السياسي في مصر بعد 30 يونيو 2013م وإحتدام التدخل الإيراني والتركي والتدخلات الخارجية في شئون الدول العربية.

في أعقاب سقوط نظام الرئيس العراقي صدام حسين والذي كان يعتبر خط الدفاع الأول في الجبهة الشرقية العربية أمام السياسة الإيرانية التوسعية في منطقة الخليج، أصبحت المملكة بحكم الجغرافيا وقدراتها البشرية والإقتصادية والعسكرية تمثل خط الدفاع العربي الأول في وجه السياسة الإيرانية منذ عام 2003م أكثر من أي دولة خليجية أخرى. وقد ساهم هذا الوضع الجديد في زيادة مسئوليات السياسة الخارجية السعودية تجاه الأمن القومي العربي

وزيادة تركيزها على المحيط العربي بشكل أكبر خاصة في بلاد الشام (لبنان وفلسطين) بالإضافة إلى مسئولياتها التقليدية تجاه أمن وإستقرار دول مجلس التعاون. وبعد حركة الإنتفاضات العربية وأحداث التغير السياسي في مصر عام 2011م وعدم تأثر السعودية بهذة الحركة، باتت السعودية تقوم بمسئولية ودور أكبر في مواجهة الأطراف الإقليمية التي تتدخل في الشأن العربي خاصة إيران وتركيا.

من جهة أخرى، تزامن الغزو الأمريكي للعراق وتداعياته الإقليمية مع تولي الملك عبد الله بن عبد العزيز زمام الأمور في المملكة في فترة مرض الملك الأسبق فهد بن عبدالعزيز في التسعينات وصعوده للعرش في أغسطس 2005، حيث يُجمع المختصين في الشأن السعودي بأن الملك عبد الله كان يتبنى توجهات قومية عروبية أثرت في عدد كبير من قراراته الخارجية وسياسة المملكة حتى وفاته.

وقد ظهر محدد الطابع القومي العربي في تعامل السياسة الخارجية السعودية مع العراق من خلال معارضة الغزو الأمريكي للعراق في 2003م قبل دخول القوات الأمريكية، ورفض إستخدام القواعد العسكرية الأمريكية في المملكة لضرب العراق إلى أن تم إغلاقها في نفس عام الغزو، وإعتراض المملكة على لسان وكالة الأنباء الرسمية السعودية على قرار إعدام الرئيس الأسبق صدام حسين صبيحة عيد الأضحى عام 2006م ووصف المحاكمة القضائية له بأنها مسيسة وغير عادلة، وتصريح الملك عبد الله في القمة العربية عام 2007م بأن العراق تحت إحتلال أجنبي غير مشروع، كما تبنت المملكة موقف واضح من العراق في خطاب سياستها الخارجية المنشور على موقعها في صفحة الإنترنت أكدت فيه على أهمية ترسيخ وحدة العراق واحترام استقلاله وسيادته وعدم التدخل في شئونه الداخلية. كما تدعو إلى تحقيق المصالحة الوطنية الشاملة، ونزع سلاح الميليشيات، وإحياء مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، حتى يجد المواطن من يرعى شئونه ويقوم على مصالحه، وعدم المساس بالتوازن الاجتماعي إلي ساد العراق ونسيج التداخل والتآخي والتراحم

الـذي يربـط بـين المذاهـب والعشـائر والمناطـق العراقيـة.
مـن ناحيـة أخـرى حاولـت السياسـة السـعودية تطبيـق مبـدأ التضامـن العـربي مـع العـراق عقـب دخـول الإحتـلال الأمريـكي إلى العـراق، فقـد أعلنـت الحكومـة السـعودية عـن تعهدهـا بتقديـم مليـار دولار لدعـم عمليـة إعـادة إعـمار العـراق ضمـن مؤتمـر المانحـين في مدريـد عـام 2003م. وإسـتقبلت الريـاض رئيـس الـوزراء نـوري المالـكي في أول زيـارة خارجيـة لـه في يوليـو 2006م عقـب توليـه منصـب رئيـس الـوزراء لأول مـرة عـام 2006م خاصـة في ظـل دعايتـه السياسـية بأنـه جـاد في تحقيـق مصالحـة وطنيـة عراقيـة، وأولـت الحكومـة السـعودية لهـذة الزيـارة أهميـة كـبرى وثمنـت عـدم ذهابـه إلى دول إقليميـة أخـرى (مثـل قيـام سـلفه إبراهيـم الجعفـري بالتوجـه إلى تركيـا كأول وجهـة خارجيـة لـه)، حيـث تمـت إجتماعـات جمعـت كبـار القـادة في البلديـن حضرهـا ولي العهـد الأسـبق الأمـير سـلطان بـن عبـد العزيـز ورئيـس المخابـرات الأمـير مقـرن بـن عبـد العزيـز وتـم الإتفـاق عـلى إنشـاء لجنـة تنسـيق عليـا بـين البلديـن لبحـث كافـة المسـائلة العالقة بينهـم. كـما أعلـن وزيـر الخارجيـة السـعودي سـعود الفيصـل إسـتعداد المملكـة لتخفيـض الديـون المسـتحقة عـلى العـراق في عـام 2007م.
سـعت الحكومـة السـعودية إلى التوسـط مـن أجـل حـل مسـألة تشـكيل حكومـة عراقيـة بعـد الإنتخابـات البرلمانيـة في عـام 2010م عـبر دعـوة مسـعود البـارزاني وعـمار الحكيـم وإيـاد عـلاوي لزيـارة الريـاض لتشـكيل حكومـة تحـاول ضبـط حـدود الطائفيـة السياسـية في العـراق تحـت قيـادة رئيـس الـوزراء العراقـي الأسـبق إيـاد عـلاوي (ذي التوجـه القومـي العلـماني) خاصـة بعـد الخلافـات التـي وقعـت بـين حـزب المجلـس الإسـلامي وبـين حـزب الدعـوة ودخولهـم الإنتخابـات البرلمانيـة في قوائـم مختلفـة في ظـل تأخـر تحقيـق مصالحـة وطنيـة وإزديـاد ممارسـات الحكومـة الطائفيـة، إلا أن محاولاتهـا لم تنجـح بعـد حصـول نـوري المالـكي عـلى تأييـد الحكيـم والبـارزاني بوسـاطة إيرانيـة. وبعـد قطيعـة دبلوماسـية منـذ عـام 1990، قـررت الحكومـة السـعودية تعيـين سـفير المملكـة في الأردن سـفير غـير مقيـم في بغـداد في 7 مـارس 2012م كبـادرة حسـن نيـة، ولم تعـارض المملكـة قـرار مجلـس

جامعة الدول العربية بعقد القمة العربية في بغداد في نفس العام لأول مرة بعد الإحتلال الأمريكي، إلا أن التصريحات المناوئة للمملكة من بعض الرموز السياسية في بغداد بخصوص الأوضاع في البحرين والكويت حالت دون حضور تمثيل سعودي رفيع المستوى إقتصر على مندوب السعودية لدى الجامعة العربية السفير أحمد القطان.

ومع إستمرار تصاعد ظاهرة الطائفية السياسية في العراق وممارسات الحكومة العراقية بتهميش وإقصاء السنة وتأجيج التوتر مع الأكراد، وتدخلات الحكومة العراقية في شئوت البحرين والكويت وإتهامها للمملكة بدعم الإرهاب، توترت العلاقات السعودية - العراقية وإزدادت المطالبات الحكومة السعودية المتكررة بضرورة وقف التدخلات من دول الجوار في الشؤون الداخلية العراقية في المحافل الدولية ومؤتمرات القمة العربية والمؤتمرات الإقليمية المتعددة. حيث صرح وزير الخارجية السعودي السابق الأمير سعود الفيصل قائلًا في عام 2012م «أن التصريحات الايرانية والتدخلات الايرانية في الشأن العربي سبق وأن تحدثنا عنها تكرارا ومرارا، إيران تحاول أن تستغل الامور، وهذا واضح وغير مريح ولو كان تدخلها في صالح الدول العربية كان هذا مفهوما». كما صرح سعود الفيصل في أخر خطاب له أمام مجلس الشورى السعودي في 31 مارس 2015م حول العراق قائلًا: «عندما نتحدث عن بغداد، فنحن نتحدث عن عاصمة العروبة الجريحة التي قاست الأمرين، على أيدي زمرة من أبنائها مدفوعين من قِبَلِ أطراف خارجية تلهث من أجل إشاعة الفتنة والفرقة والتناحر، ولا تكف عن إرتكاب الجرائم وبث الكراهية وغرس الحقد في عاصمة الرشيد وملتقى الحضارات».

وقد رحبت الحكومة السعودية بترشيح رئيس الوزراء حيدر العبادي خلفًا لرئيس الوزراء السابق نوري المالكي في أغسطس 2014م وإتخذت الحكومة السعودية قرار بتعيين السفير ثامر السبهان سفير مقيم في بغداد في ديسمبر 2015م وأعلنت إفتتاح قنصلية لها في مدينة أربيل.

ومن جهة أخرى، ماتزال الرياض تعارض خطاب الطائفية السياسية المتصاعد

في العـراق وبعـض الأحـزاب الدينيـة ذات شـعبية كبـيرة خطـوات التقـارب بـين الحكومـة السـعودية والحكومـة العراقيـة. ففـي حـين يؤيـد المرجـع الدينـي الأعـلى آيـة اللـه عـلي السيسـتاني خطـوات حيـدر العبـادي الإصلاحيـة ويطالبـه بـألا يقـف أمـام مـن يعـارض سياسـاته (والتـي يـأتي مـن ضمنهـا إسـتعادة العلاقـات مـع دول الخليـج والسـعودية)، أظهـرت بعـض الأحـزاب الدينيـة الشـيعية مثـل حـزب المجلـس الأعـلى الإسـلامي والتيـار الصـدري ونـواب عـن بعـض الميليشـيات الشـيعية في البرلمـان العراقـي إعتراضهـم الشـديد عـلى تعيـين السـفير ثامـر السـبهان ورفضهـم فتـح السـفارة السـعودية في بغـداد خاصـة بعـد إعـدام نمـر النمـر وإزدادت في مطالباتهـا وإنتقاداتهـا لسياسـة السـعودية الخارجيـة ومطالباتهـم بدعـم التظاهرات الشـيعية في البحريـن والحوثيـين في اليمـن. فيـما كان البيـان الدينـي الرسـمي الـذي أصـدره السيسـتاني بمناسـبة مقتـل النمـر يتصـف بالتـوازن، إذ تجنـب تصعيـد المواقـف محـذراً مـن إشـعال الفتنـة وتأجيـج الـصراع الطائفـي القائـم في المنطقـة والعـراق تحديـدًا.

كـما سـاهمت حالـة النشـاط الملحوظـة في العـام الأول مـن حكـم الملـك سـلمان والتغـيرات الغـير مبـاشرة الإيجابيـة في السـاحة العراقيـة في إحـداث تحـول لـدى الـرأي العـام الإعلامـي والأكاديمـي السـعودي في تنـاول الأوضـاع في العـراق. فبعدمـا كانـت الفكـرة السـائدة في السـعودية عـن العـراق بأنـه خـرج مـن الصـف العـربي وأن حكومتـه أصبحـت بيـد طهـران، بـدأت تظهـر خطابـات تنـادي بـضرورة إسـتعادة التواجـد السـعودي في العـراق لمواجهـة النفـوذ الإيـراني ومـد العلاقـات مـع العشـائر السـنية والمرجعيـات الشـيعية الدينيـة التـي لا تتبـع ولايـة الفقيـه وتتبنـى مبـادىء عربيـة سياسـيًا وإقامـة علاقـات قويـة مـع أكـراد العـراق. في المقابـل تتواجـد أصـوات تتحفـظ عـلى هـذا التفـاؤل مسـتدلة عـلى تحفظهـا بـأن محـاولات الرئيـس عبـادي قـد لا تنجـح عـلى المـدى المتوسـط وأن فـرص نجاحـه في ضبـط حـدود الطائفيـة السياسـية في العـراق وتطبيـق مبـدأ المواطنـة ضعيفـة.

الموقف السعودي والخليجي المُعلن بشأن وحدة العراق

يؤكـد الموقـف الرسـمي الحـرص عـلى وحـدة العـراق وسـيادته واسـتقلاله وسـلامته

الإقليمية. ودعمه لجهود العراق تعزيز الوحدة الوطنية، ودعوة جميع القيادات السياسية والأحزاب والمكونات العراقية إلى انهاء حالة الانقسام السياسي وتوحيد الكلمة لتفويت الفرصة على التنظيمات الإرهابية والجماعات المتطرفة التي تسعى إلى بث التفرقة وإثارة الفتن الطائفية والنيل من أمن العراق واستقراره.

1. نسبة التأييد من قبل سكان الأقليم للإستقلال

طالما عارضت الطائفة السنية في السابق بشدة فكرة الأقاليم و تعتبرها بداية لتمزيق و إنهاء العراق، ولكن ما مرت بها هذه الطائفة من التهميش و الاقصاء من قبل الحكومة العراقية بقيادة الأحزاب الشيعية جعلت غالب الطائفة السنية تغير أفكارها بالكامل و ترى أن الخلاص في فكرة الإقليم حتى أصبحت المظاهرات و الاعتصامات في الساحات العامة للمدن تطالب بإنشاء كما حصل في مظاهرات الرمادي في 2013/4/3 عندما طالب المتظاهرون بالإقليم وكان ذلك طلبهم الرئيسي و هذا كان دليلا على عمق التغيير الحاصل عندهم بسبب الظلم الذي تعرضوا له من قبل الحكومة المركزية، وبعد سقوط مدينة الموصل ثاني أكبر مدن العراق بيد تنظيم (داعش) في حزيران 2014 أصبحت مطالب السنة جدية بالإقليم السني لأنهم اعتبروا القوات العراقية عاجزة عن حمايتهم بل تعتدي عليهم وبالتالي هم بحاجة إلى إقليم للحفاظ على وجودهم و الدفاع عن أنفسهم.

2.نسبة المعارضة من قبل سكان الأقليم للإستقلال؟

يعارض البعض من الطائفة السنية فكرة إنشاء إقليم سني مماثل للإقليم الكردي الموجود في العراق، ولديهم بعض الأسباب التي تجعلهم يفكرون

بهـذه الطريقـة منهـا أن الإقليـم السـني لا يمتلـك مصـادر التمويـل الاقتصـادي بخـلاف المناطـق الشـيعية، وبالتـالي تحتـاج الى وجـود مصـدر إقتصـادي كبـير و دعـم دولي كبـير وهـذا الأمـر صعـب التحقيـق في هـذا الوقـت إلا بوجـود ضمانـات كافيـة مـن قبـل الـدول الداعمـة لفكـرة الإقليـم تسـاعد فعليـا الإقليـم السـني لتجـاوز العقبـة الاقتصاديـة وبـدون ذلـك يعـارض هـؤلاء فكـرة إنشـاء الإقليـم و يفضلـون الإدارة اللامركزيـة.

3.طبيعة العلاقات المتُصورة مع الأقليم الكردي

يتصـور أن العلاقـات بـين الإقليـم السـني و الكردي سـتكون قوية بسـبب دعـم إقليم كردسـتان العـراق للقيـادات السـنية واحتضانهـا لأغلـب الشـخصيات السـنية والتـي هربـت مـن بطـش الحكومـة المركزيـة العراقيـة، وبالتـالي فهـذا التعـاون و التقـارب سـوف يسـتمر في حـال نشـوء الإقليـم السـني، ولكـن الإشـكال الـذي سـوف يحصـل هـو تحديـد المناطـق المتنـازع عليهـا بـين العـرب والكـرد والـذي يطالـب الكـرد بضمهـا لإقليـم كردسـتان والتـي تمتـد مـن غـربي الموصـل مـرورا بضواحـي كركـوك الجنوبيـة، والأجـزاء الشـمالية مـن ديـالى والأجـزاء الشرقيـة مـن الواسـط، وتحديـد هـذه الحـدود مـع الإقليـم الكـردي قـد يشـكل مشـكلة مسـتقبلية بـين الإقليمـين ولكـن إذا اتحـد الطرفـان عـلى الأمـور المشـتركة والمصالـح المشـتركة فيمكـن الاتفـاق عـلى انهـاء هـذه المشـاكل عـن طريـق الاسـتفتاء الشـعبي للمواطنـين الموجوديـن في هـذه المناطـق.

4.طبيعة العلاقات المتَّصورة مع الأقليم الشيعي

العلاقـات بـين الإقليـم السـني والشـيعي لـن تكـون جيـدة بسـبب تراكـم كميـة الكراهيـة التـي تشـكلت بـين الطرفـين، وخاصـة أن فكـرة نشـوء الأقاليـم تـأتي

بعد استحالة العيش المشترك بين الطرفين، ولكن طبيعة العلاقة المتصورة بين الطرفين هو كما يحدث بين الشيعة والسنة اليوم في العراق الموحد من عدم الثقة فهذا الأمر سيستمر حتى بعد نشوء الأقاليم، فالعلاقة بين الإقليم السني والإقليم الكردي سيكون افضل وأقرب من العلاقة بين الإقليم السني والشيعي بسبب حجم العذاب الذي تعرض له الطائفة السنية على يد الحكومة الشيعية الحاكمة إلا في حالة تقديم النزعة القومية على الطائفية ففي هذا الاحتمال يمكن اتحاد الطرفين ضد الإقليم الكردي وبالتالي يعود العلاقة بينهم لأن العدو سيكون مشتركا حينها وهذا احتمال ضعيف ولكن وارد.

5.طبيعة العلاقات المتُصورة مع كلاً من:

- **العلاقات مع إيران**

يعتمد الخطاب السني الحالي على مهاجمة الشيعة بشكل عام و إيران بشكل خاص و بأنها وراء كل مآسي السنة في العراق، وهذا الخطاب تزايد وتيرته بعد الاحداث الأخيرة و التدخل الإيراني المباشر في مهاجمة المدن السنية و اتهام ايران أصلا بأنها ساعدت أمريكا في احتلال العراق و زرع عملاءها فيها، وهذه الاهتامات لإيران والشحن الطائفي الموجود لدى السنة تجعل من وجود العلاقات بين الطرفين امرا صعبا، قد يكون هناك علاقات سطحية ولكن التعاون و العمل المشترك قد يكون شبه معدوم إلا اذا تغيرت العقلية الغالبة في الإقليم السني و فتحت باب الحوار و التقارب مع إيران.

- **العلاقات مع تركيا**

تدعم تركيا الإقليم السني لأنه قد يكون ممرا سهلا و آمنا لتصدير النفط و الغاز من دول الخليج عبر تركيا الى أوروبا بدل الناقلات لأنها مكلفة اقتصاديا و بطيئة من جهة أخرى، فمن الناحية الاقتصادية تركيا بحاجة الى وجود الإقليم

السـني الـذي يكـون قريبـا منهـا سياسـيا، و مـن ناحيـة أخـرى فـإن طموحـات تركيـا بضـم ولايـة الموصـل لا زالـت موجـودة فكثـيرا نسـمع تصريحـات مسـؤولين اتـراك بـأن الموصـل وكركـوك أراضي تركيـة واخرهـا كان تصريـح وزيـر الخارجيـة الـتركي السـابق (داود اوغلـو) الى كركـوك عـام 2014 حينـما قـال «كركـوك قلـب تركيـا والتركـمان مواطنـون اتـراك» وأغلـب السـنة اليـوم يعتـبرون تركيـا الدولـة العثمانيـة الجديـدة ولديهـم ولاء مطلـق لهـا وبالتـالي فـإن الإقليـم السـني سـوف يحظـى بعلاقـات قويـة جـدة مـع تركيـا لوجـود مصالـح مشـتركة عديـدة بـين الطرفـين.

• العلاقات مع السعودية

سـيكون للإقليـم السـني علاقـات قويـة جـدا مـع دول الخليـج العـربي بشـكل عـام، لأن دول الخليـج تسـعى لإبعـاد النفـوذ الإيـراني عـن العـراق والمنطقـة بشـكل عـام وأفضـل وسـيلة لذلـك هـو دعـم الإقليـم السـني بكافـة وسـائل الدعـم حتـى تكـون قويـة منـذ البدايـة عـن طريـق كل الوسـائل الممكنـة، والإقليـم السـني بحاجـة إلى تكويـن علاقـات قويـة مـع دول الخليـج العـربي وخاصـة المملكـة العربية السـعودية حتـى يسـتطيع ان يبنـي نفسـه و يسـتطيع النهـوض وخاصـة انـه لايمتلـك المـوارد الاقتصاديـة التـي يمكـن الاعتـماد عليهـا ولايمكنـه الوقـوف أصـلا دون وجـود الدعـم السـعودي وبالتـالي فـإن وجـود العلاقـة القويـة بـين الطرفـين امـر وارد جـدا.

• العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية

في السـابق كان السـنة يحملـون خطابـاً شـديداً ضـد الأمريكـين بإعتبـار أن أمريـكا عـدوة العـراق و دمـرت العـراق بعـد الغـزو سـنة (2003) ، ولكـن تغـير الخطـاب اليـوم بعدمـا قـال احـد القـادة السـنة البارزيـن الـذي أراد عـدم ذكـر اسـمه (ان السـنة تدفـع الثمـن الآن بسـبب عـدم تعاوننـا مـع الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، تم ارسـال الدعـوة لنـا و لبعـض القيـادات الشـيعية لزيـارة واشـنطن ، وهنـاك إلتقينـا بالمسـؤولين الأمريكيـين وهـم عرضـوا علينـا بعـض الأمـور، فنحـن رفضنـا التعـاون معهـم ، بينـما القيـادات الشـيعية قبلـوا التعـاون و ربحـوا الحكـم في العـراق و

تـم تهميـش السـنة) فهـو يذكـر هـذه الحادثـة كدعـوة لفتـح صفحـة جديـدة مـع أمريـكا وخاصـة يدركـون ان فكـرة الإقليـم لا يمكـن ان ينجـح دون دعـم او غطـاء امريـكي وبالتـالي عدلـوا مـن الخطـاب نحـو الأمريـكان و باتـوا يركـزون عـلى إيـران و شرهـا وهـذا مـا يجعـل التعـاون واردا بـين الطرفـين.

الوضع في روژآڤاي كوردستان

التحدّيات الجيوسياسية

د. سربست نبي

أكاديمي وباحث

أولاً- توصيف

توالت في الشهور العشرة الأخيرة انتصارات قوات سوريا الديمقراطية، التي تشكل وحدات حماية الشعب، قوامها الرئيس، وامتد نفوذها إلى خارج حدود إقليم روژآڤاي كوردستان، وسيطرتها على مناطق ذي أغلبية عربية مثل شدادي ŠEDDADÊ، التي تبعد 60 كم جنوب الحسكة HASAKE، وعلى مطار منغ MINNIGH العسكري(شرق عفرين EFFRIN مباشرة 30 كم) وجنوب مدينة إعزاز EAZAZ. والمدينة الأخيرة باتت المنفذ الوحيد على الحدود التركية مباشرة، التي تحت سيطرة الجماعات الجهادية المعارضة المدعومة من قبل تركيا. غير أنها باتت الآن محاصرة من جميع الجهات باستثناء المنفذ الشمالي باتجاه الأراضي التركية، وهذه تبعد عن عفرين حوالي 40كم. وسيطرت هذه القوات على مدينة تل رفعت TIL ERFAT 35 كم جنوب إعزاز. هذه المنطقة كانت حيوية بالنسبة للنفوذ التركي، نظراً لوجود بعض القرى التركمانية فيها،

بالإضافة إلى ولاء العرب فيها للجماعات الإسلامية. وكانت تركيا تسعى بشتى السبل للهيمنة عليها ووضعها تحت حمايتها.

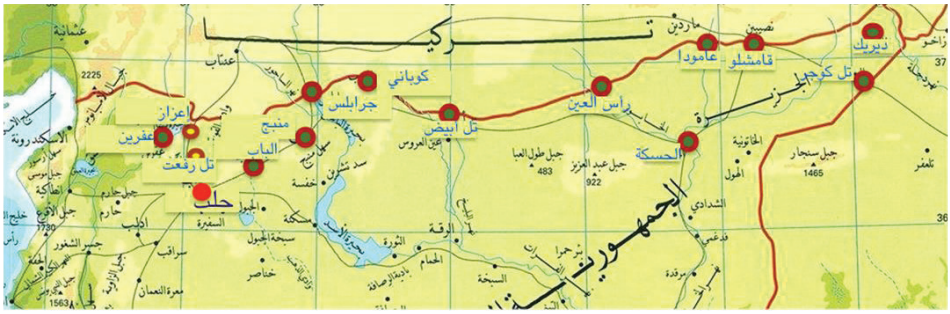

علاوة على ماسبق، أخذت تلك القوات تمتد نحو غرب الفرات ومقاطعة كوباني، وصارت تهدد بالسيطرة على مدينة جرابلس GIRGAMÊŠ التي كانت تخضع لقوات داعش وتخفق رايتها السوداء في سماء المدينة على بعد بضع مئات من الأمتار من مراكز الجيش التركي طوال ثلاث سنوات. حالت عوامل إقليمية ودولية عديدة دون تقدم قوات سوريا الديمقراطية نحو جرابلس وتحريرها، ووجدت هذه القوات نفسها تنحو نحو مدينة منبج MINBIC حتى تمكنت أخيراً من تحريرها بعد حصار طويل، ومن ثم شرعت بالتوجه نحو مدينة الباب BABÊ التي تفصل مدينة عفرين عن باقي المناطق الكوردية، وتشكّل الملاذ الأخير لإرهابيي داعش الذين لجأوا إليها بعد تحرير منبج وغيرها. إن الهدف من تحرير الباب وريفها ليس فقط تحقيق انتصار على إرهابيي داعش، أو فك الحصار عن مدينة عفرين وباقي مناطق(چيايى كورمينج)، إنما أيضاً فرض عزلة على قوات داعش في جرابلس وحصارها، ووضعها بمواجهة الطرف التركي مباشرة، قبل أن تتمكن القوات التركية عبر حركة استعراضية، الإدعاء بتحريرها ودخولها، مع قوات معارضة سوريا تأتمر بأمرها، في صفقة استلام وتسليم.

دون شك، كانت السيطرة التامّة على هذه المناطق ستقود إلى توحيد الإقليم

الكـوردي مـن الجزيـرة مـروراً بــ كوبـاني KOBANÎ ووصـولاً إلى عفريـن، ويمهّـد بالتـالي لنشـوء نـوع مـن الاسـتقلال الـذاتي. فضـلاً عـن ذلـك، كان مـن شـأن هـذه الخطـوة أن تقطـع صلـة المعارضـة تمامـاً مـع تركيـا، وتقـوّض مـشروع الأخيرة بإنشـاء منطقـة نفـوذ آمنـة تحـت سـيطرتها. وهـذا الأمـر هـو الـذي تسـبب بالهسـتيريا السياسـية الصارخـة لـدى النخبـة الحاكمـة في تركيـا برئاسـة أردوغـان، قبـل شـهور مـن كرنفـال تحريـر جرابلـس وتسـليمها لجماعـات جهاديـة أكـثر صقـلاً وأناقـة في سـيناريو بـدا أنـه كان معـداً، بيـد أنـه كان فاضحـاً ويثـير سـخرية المراقبـين.

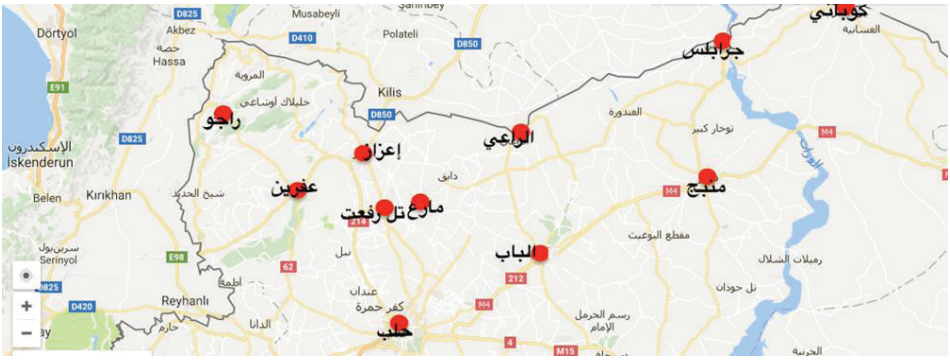

تشـكّل بعـد محاولـة الإنقـلاب الفاشـلة منعطـف جديـد في السياسـة التركيـة اتجـاه الأزمـة السـورية. فـرض عـلى الأتـراك مقاربـة جديـدة وإعـادة تنظيـم لتحالفاتهـم في ضـوء المعطيـات الجديـدة، وإعـلان خطـاب أكـثر تشـدداً ورفضـاً، إزاء المطالـب الكورديـة في غـرب كوردسـتان، قائـم عـلى توحيـد القـول والموقـف بشـأن جميـع خصـوم رجـب طيـب أردوغـان R.T.Erdogan مـن إنقلابيـين وكـورد و وضعهـم في خانـة الإرهـاب مـع الدواعـش. ومـن هنـا راحـت تركيـا تعـدّ العـدة لاقتحـام الشـمال السـوري وفـرض إرادتهـا ووصايتهـا عـلى الوضـع هنـاك.

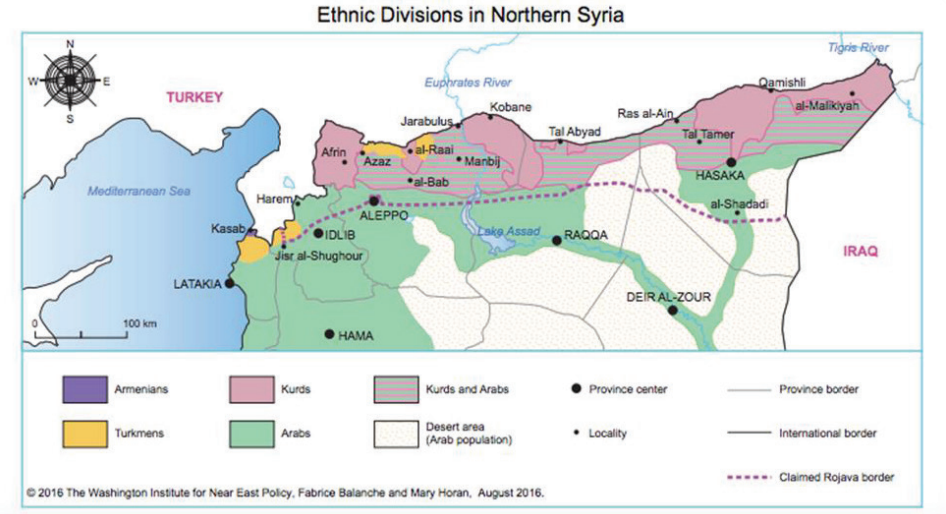

ثانياً- المواقف والوقائع

- الولايات المتحدة

غضت الولايات المتحدة الطرف، على مضض، عن هذا التمدد الكوردي، ففي المحصلة هو يقوض مواقع الجماعات التي تعدّها إرهابية(داعش، جبهة النصرة، أحرار الشام) وفي معظم الأوقات ساعد سلاح الجو الأمريكي في التمهيد لتقدم وحدات الحماية الشعبية، وبخاصة في معارك تحرير جنوب الحسكة ومنبج، بالرغم من زوبعة الاحتجاجات التركية الرسمية وعلى لسان رئيسها ورئيس وزرائها. وفي هذا الوقت قام وفد من قوات التحالف الدولي بزيارة كوباني، وشارك في الوفد بريت ماكغورك Brett Mcgurk الممثل شخصي للرئيس الأمريكي، الذي أظهر انطباعات جد إيجابية بحق القوات الكوردية ودورها في مواجهة الجماعات الإرهابية.

كانت ردود أفعال المتحدثين الرسميين للإدارة الأمريكية قويّة على تصريحات أردوغان المتشنجة حين طالب الولايات المتحدة بالاختيار بين صداقة تركيا وصداقة «إرهابيي كوباني» حسب وصفه. إذ أكد الأمريكان على مواصلة دعمهم لوحدات الحماية بوصفها قوة حليفة لهم. كذلك رفضوا بحزم اتهام

تركيا لوحدات الحماية بأنها وراء العملية الانتحارية الأخيرة في أنقرة، التي أودت بحياة العشرات من ضباط وجنود الجيش التركي. وفاقم هذا الأمر الفتور السياسي أو اللامبالاة، الذي أبدته الإدارة الأمريكية إزاء أزمة الإنقلاب الأخيرة . وتعززت الشكوك وغياب الثقة بين الطرفين بشأن عدم استجابة الإدارة الأمريكية لمطالب الرئيس التركي بتسليم المعارض التركي المقيم في الولايات المتحدة فتح الله گولن Fethullah Gülen. وبالمقابل تلقت الإدارة الأمريكية بارتياب شديد وقلق اندفاع الرئيس التركي وحماسته اتجاه الروس والإيرانيين، بخاصة بعد تقديم أردوغان الإعتذار لهم عن اسقاط الطائرة الروسية، وزيارته لـ بيترسبورغ Petersburg للقاء بوتين.

راحت التصريحات الأمريكية، بعد تحرير منبج على يد قوات سوريا الديمقراطية، تتوالى بضرورة تحرير مدينة الرقة، أحد أهم قلاع داعش في سوريا والعراق بعد الموصل، اعتماداً على قوات سوريا الديمقراطية. إلا إن تصريحات نائب الرئيس الأمريكي بايدن أثناء زيارته لأنقرة، وبعد اجتياح تركيا وحلفائها لمدينة جرابلس، بضرورة انسحاب القوات الكوردية لشرق نهر الفرات، وإعلانه لنوع من المساندة إزاء التدخل التركي العسكري في جرابلس، أربك المشهد المتعلق بالسياسة الأمريكية الغامضة والمراوغة،

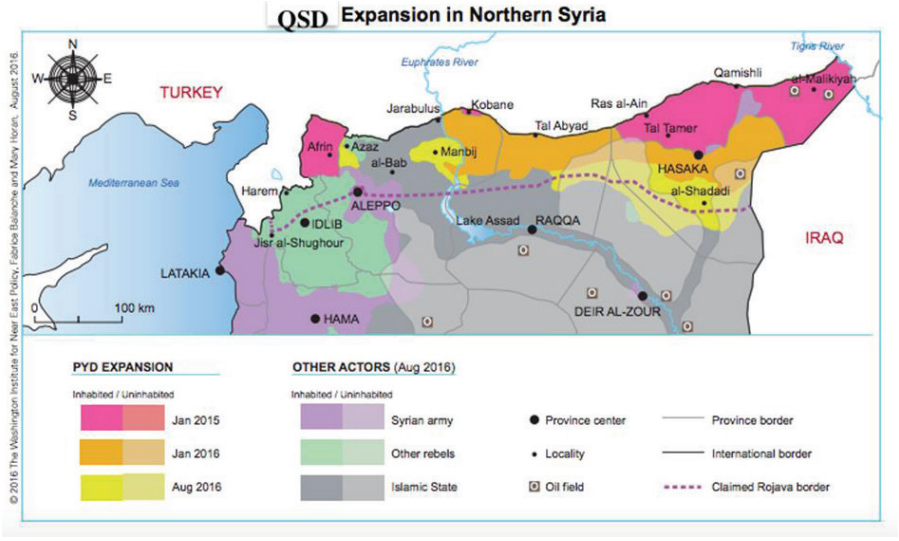

نوعاً ما، إزاء الوضع في شمال سوريا وطبيعة تحالفاتها.
بيد أن الحضور العسكري الأمريكي في سوريا، برز بصورة أشدّ وضوحاً على الأرض وفي الجو، أثناء المواجهات المسلحة التي اندلعت بين قوات النظام السوري وأنصاره من جهة أولى ووحدات الحماية الشعبية، في مدينة الحسكة، أواسط شهر آب من جهة أخرى. حيث لجأت قوات النظام، للمرة الأولى، إلى استخدام سلاح الجو في المواجهات على الأرض ضد الكورد. هنا راحت قوات الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة تعلن عن حضورها في الجو وفي الأرض وذلك عبر مسساندتها لمن أسمتهم بـ»حلفائها على الأرض» وأخذت تهدد طيران النظام السوري وتعترضه في السماء. هذا الحزم الذي أبدته الولايات المتحدة إزاء النظام عبر دعم القوات الكوردية، وإعلانها، بصورة غير رسمية، لمنطقة حظر جوي ونفوذ في محافظة الحسكة، يتعارض تماماً مع الموقف الهش الذي أعلنت عنه أثناء الهجوم التركي على جرابلس، الأمر الذي لايمكن تفسيره إلا بوجود مقاربتين للموقف، تخضعان لرؤيتين جيوبوليتكيتين مختلفتين.
الدعم الأمريكي العسكري المعلن لوحدات حماية الشعب YPG، لا نجد ترجمة سياسية له أو حماسة مماثلة على صعيد مواقف الإدارة الأمريكية إزاء التمثيل الكوردي المستقل في مفاوضات أو محاورات المعارضة مع النظام في اللقاءات التي تتم برعاية دولية. إذ يصرّ الجانب الأمريكي على ضرورة التمثيل عبر وفد المعارضة للمفاوضات، الذي تشكّل في رياض برعاية تركية وسعودية. وهذه مفارقة أخرى في سلوك الإدارة الأمريكية إزاء القضية الكوردية خصوصاً والسورية عموماً. وبخلاف ذلك نجد أن تصريحات الخارجية الروسية تصرّ على الدوام بضرورة التمثيل الكوردي المستقل في لقاءات جنيف Geneva.
فضلاً عما سبق، شكل الموقف الأمريكي الملتبس، وغير الحاسم، بإزاء التمادي التركي، غطاءاً للهجوم الأخير على جرابلس. ولحدّ هذه البرهة من الكتابة، ماتزال الإدارة الأمريكية تمسك العصى من الوسط بين الدولة التركية، التي لايرغب الرئيس أوباما Barack H. Obama في أن يخسرها تماماً في هذا الوقت، لاسيما بعد انعطافة أردوغان السريعة باتجاه الروس والإيرانيين، وبين حلفائها

الكـورد مـن قـوات سـوريا الديمقراطيـة. وقـد سـعت في الآونـة الأخـيرة إلى عقـد هدنـة ـ تنكـرت الإدارة التركيـة لـه مـراراً وتكـراراً ـ بـين الطرفـين المتصارعـين عـلى جانبـي الحـدود، للحـدّ مـن الصـدام بـين القوتـين.

ـ روسيا الإتحادية

إن أحـد أكـبر الأوهـام السياسـية، التـي طغـت عـلى العقـول السـاخنة للمعارضـة السـورية منـذ بدايـة الثـورة، هـي أنهـا اعتقـدت أنـه يمكـن مقايضـة موقـع سـوريا وأهميتهـا لـدى الـروس كـما تمّـت مقايضـة ليبيـا ببعـض الامتيـازات الاقتصاديـة والنفطيـة، لقـاء تخليهـم عـن دعـم حليفهـم التاريخـي في دمشـق. وكان هـذا الاعتقـاد ينـمّ عـن جهـل فظيـع بالمكانـة التاريخيـة والجيبوبولوتيكيـة لسـوريا بالنسـبة للمصالـح الاسـتراتيجية الروسـية. راهـن هـؤلاء فيـما بعـد عـلى عامـل الزمن في إحـداث تحـول في الموقـف الـروسي، أو الوصـول إلى برهـة يمكنهـم إرغـام الـروس عـلى التخـلي عـن نظـام بشـار الأسـد. لكـن هـؤلاء تجاهلـوا في واقـع الأمـر احتمالات اتسـاع المحنـة الإنسـانية، التـي قـد يتعـرض لهـا السـوريين، وهـذا ماحـدث بالفعـل. إذ أن النظـام بالفعـل كان الأكـثر اسـتفادة مـن عامـل الزمـن، ومـن هنـا إزداد بطشـه، واتسـعت دائـرة القمـع لديـه، وعمـد أكـثر إلى اسـتخدام أشـد الأسـلحة فتـكاً خـلال ذلـك. وبموازاتـه ازداد الـروس تعنتـاً إزاء التوجهـات الدوليـة ومشـاريع المجتمـع الـدولي الهادفـة إلى حصـار النظـام واسـقاطه. بـل إن الـروس عمـدوا إلى خلـق جبهـة اقليميـة وعسـكرية أكـثر قـوة لنظـام الأسـد.

بعبـارة واحـدة، كان ينبغـي الإدراك منـذ البدايـة أن روسـيا لـن تسـلم سـوريا وشـواطئ المتوسـط لأي حليـف لتركيـا ودول الخليـج، وأخـيراً لأمريـكا. روسـيا لـن تـتردد في تسـليم رأس بشـار الأسـد حـين تجـد بديـلاً عنـه عـلى مقاسـها. روسـيا لـن تقبـل بـأي نظـام إسـلامي في سـوريا. تلـك هـي أقانيـم ثابتـة للموقـف الـروسي إزاء الحـدث السـوري.

شـهدت العلاقـات الروسـية - التركيـة تصعيـداً خطـيراً، بخاصـة بعـد سـقوط طائـرة

سوخوي Sukhoi الروسية من قبل القوة الجوية التركية. وقد وجدت روسيا في هذا الحدث فرصة لتكريس هيمنتها العسكرية على الأجواء السورية وإرسال رسالة قوية للدول ذات العلاقة أنها صاحبة الكلمة العليا في الشأن السوري، وأن أية مبادرة سياسية أو عسكرية بهذا الخصوص، مالم تحظى بقبولها، ستقود إلى عواقب لاتحمد عقباه. كانت الرسالة موجهة بصورة خاصة للتحالف الإسلامي السعودي- التركي، الذي هدد بالتدخل البرّي في شمال سوريا وفرض ملاذ آمن هناك، ودعماً لنفوذ المعارضة التي أخذت قواتها بالتقهقر أمام وحدات حماية الشعب .

استطاعت روسيا أن تهيمن تماماً على أجواء الشمال السوري، وتمكنت من لجم التمادي التركي والانتهاكات في السماء السورية إلى حد كبير، وفي تحذير صريح لمستشار الأمن القومي الروسي إلى تركيا والسعودية حذّر قائلاً: أية حماقة على الحدود السورية-التركية تعني دمار كامل للبلاد المتورطة.

من جانب آخر سمح الروس لممثلي الإدارة الكوردية بفتح مكتب تمثيلي شبه رسمي لهم في موسكو، في الوقت الذي راحو ينسقون مع الوحدات الكوردية على الأرض. كان الإغراء الروسي للأخيرة هو حماية الأجواء أثناء تقدمهم نحو غرب الفرات والمنبج وجرابلس بشرط فك ارتباطهم مع التحالف الدولي، الذي تقوده الولايات المتحدة. وواقع الحال فإن هذا الإغراء عجز عن تحقيق هدفه، وبخلاف ذلك توثقت علاقة القوات الكوردية مع قوات التحالف والولايات المتحدة أكثر أثناء معركة تحرير منبج. ويبدو لي أن الهدف الروسي الأساس من وراء تعاطيه مع الوحدات الكوردية هو تحييدها قدر الإمكان عن الصدام أو المواجهات المحتملة مع النظام، والحؤول دون اصطفافها مع أية قوة مسلحة أخرى معارضة للنظام مستقبلاً.

بإزاء ذلك واظب المسؤولون الروس التأكيد، في جميع المناسبات، على ضرورة التمثيل الكوردي المستقل في أيّة مفاوضات محتملة بشأن الحلّ في سوريا وتحديد مستقبلها. إلا أنه بات واضحاً بعد الاعتذار الرسمي التركي للروس وزيارة أردوغان لـ بيترسبورغ ولقائه بـ فلاديمير بوتين، أن ثمة مرونة روسية

وتفهم اتجاه هواجس تركيا وقلقها بإزاء الهيمنة، التي تفرضها القوات الكوردية وحلفاؤها على طول المناطق الشمالية المتاخمة للحدود التركية. برز ذلك بوضوح شديد في الموقف الروسي الرخو إزاء الاجتياح العسكري التركي لمدينة جرابلس. ولربما كان ذلك من باب الرغبة في احتواء نزق أردوغان السياسي نحو الغرب والولايات المتحدة، والعزلة السياسية التي يعيشها مؤخراً. علاوة على رغبة الروس في المراوغة معه وابتزازه إلى أقصى حدّ بهدف انتزاع تنازلات تركية عميقة في الملف السوري، وهذا ما أظهره الساسة والقادة الأتراك في استعدادهم للتفاهم مع النظام السوري وإعادة النظر في كل ماجرى خلال السنوات الخمس الأخيرة. ناهيكم عن إعلان رئيس الوزراء التركي و وزير الخارجية من أن بشار الأسد هو جزء من الحلّ المحتمل في سوريا، وحتى شريكاً في المرحلة الإنتقالية. وليس لدينا شك في أن التهاون الروسي، غير المتوقع، إزاء اجتياح القوات التركية وحلفائها للأراضي السورية واحتلالها لمدينة جرابلس ومحيطها، ماكان ممكناً من غير وجود مساومات خفية وتنازلات تركية جذرية، على صعيد ملف المعارضة السورية الموالية لها، وعلى صعيد أجندة الحل السياسي، للجانب الروسي.

ـ تركيا

كشفت وقائع الشهور الأخيرة والمواقف السياسية لممثلي الدولة التركية، عن أن الغرض الرئيس لتدخلها المباشر وغير المباشر في الشأن السوري، لم يكن الهدف منه إسقاط نظام بشار الأسد أو استمراره بقدر ماكان هو الحؤول دون تشكل كيان كوردي في الشمال السوري (غرب كوردستان) على غرار إقليم جنوب كوردستان، وهذا ما أفصح عنه ويعلنه بصورة دائمة، ودون تردد، الرئيس التركي أردوغان وفريق حكمه. ولم يكن هدفه من استقبال الملايين من اللاجئين السوريين سوى ابتزاز الجانب الأوروبي والقبول بشروطه السياسية، وفي هذا السياق، فقد ذكر تقرير للشرطة الأوروبية إن عائدات

تهريب البشر اللاجئين من تركيا إلى أوروبا بلغ 6 مليارات دولار عام 2015 ذهبت معظمها إلى جيوب شركاء في القيادات الأمنية والسياسية التركية، وذلك بحسب العديد من المصادر.

لم يكن الهدف العسكري من مشاركة تركيا في التحالف الدولي هو محاربة داعش والجماعات الجهادية الأخرى، وقد صرح الرئيس التركي لمراتٍ إن من أولويات سياسته هو محاربة PKK و PYD و YPG وأخيراً محاربة داعش. وقد كشفت وقائع معركة كوباني عن حجم التعامل الأمني العميق بين المؤسسات الأمنية التركية وتلك الجماعات الجهادية، فضلاً عن الفضائح التي كشفت عنها الصحافة التركية المعارضة والصحافة العالمية. وجسّد غزو الجيش التركي واجتياحه للأراضي السورية أخيراً هذا التوجه بوضوح صارخ.

ومن المثير للإستغراب إن وجود داعش، وجبهة النصرة والجماعات الجهادية الأخرى، طوال ثلاث سنوات بجوار حدود تركيا الجنوبية، وهي تسيطر على مناطق شاسعة من الشمال السوري، لم تثر حفيظة تركيا ولم تشكّل تهديداً لأمنه القومي، إلا حينما عمدت القوات الكوردية إلى تحرير تلك المناطق وراحت تدحر القوات المتطرفة وتلاحقها من موقع إلى آخر، عندئذ راحت حكومة AKP تثير الزوابع والأزمات وتدفع بقواتها لقصف المناطق الآهلة بالسكان، بذريعة حماية حدودها وأمنها القومي، حتى انتهى بها المطاف أخيراً لاجتياح مدينة جرابلس واحتلالها عبر جماعات جهادية معدّة ومعدّلة لهذه الغاية.

عانت السياسة التركية في الشهور الأخيرة، قبل غزو جرابلس، تخبطاً واضحاً تجلى في التصريحات التي أطلقها الرئيس التركي ورئيس حكومته حينها داوود أوغلو Ahmet Davutoğlu بشأن التطورات الأخيرة في غرب كوردستان. وعكست تلك التصريحات عن يأس العقل السياسي الحاكم وصناع القرار عن التحكم بمسارات التغيير في سوريا، وبخاصة تلك التي تصب في مصلحة تقدم الكورد. ومردّ هذه التصريحات النارية برأينا كانت عوامل عديدة منها:

- صعود الدور الروسي العسكري بصورة قوية ودعمه لقوات النظام والقوات

الكوردية التي حققت انتصارات قوية وسريعة على حلفاء تركيا في الشمال. وبالمقابل لجم الدور العسكري التركي الذي كان يعدّ نفسه للتدخل المباشر في الشمال السوري دون الاكتراث لأي قرار دولي.

-تقدم القوات الكوردية واكتساحها للشمال السوري غرباً وجنوباً وتشكيل قوات سوريا الديمقراطية التي يراد لها أن تكون معارضة عسكرية بديلة عن الجماعات المعارضة الإسلامية الموالية لتركيا والسعودية.

-خسارة تركيا لسمعتها السياسية لدى الرأي العام العالمي، بوصفها الجهة الداعمة الرئيسة للجماعات الجهادية في سوريا.

-فقدان الثقة بسياسات الرئيس التركي، الداخلية والخارجية، لدى صناع القرار الأوروبي والأمريكي.

-الانتفاضة الكوردية، التي أخذت تنتشر في مدن شمال كوردستان Bakurê Kurdistan، وفشل العملية السلمية التي دخلت في نفق مظلم. وعجز حكومة AKP عن كسب ثقة الكورد في شمال كوردستان، كما أظهرت نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة.

-نجاح الوحدات الكوردية في كسب سمعة سياسية عالمية وثقة، وحظوها بتأييد أصحاب القرار الأوروبي، وبالمقابل فشل حكومة AKP في اقناع العالم بضرورة تصنيف الوحدات الكوردية كقوة إرهابية يجب محاربتها. وبرز هذا الأمر بوضوح بعد تفجير أنقرة الانتحاري الأخير، حيث كان الرد الأمريكي الرسمي والأوروبي على تصريح أردوغان، ومحاولته اتهام تلك القوة بأنها وراء التفجير، صارخاً وقويّاً صادماً له.

لقد وجد أردوغان أن جميع أهدافه من وراء الإستثمار السياسي في الملف السوري أخذت تتداعى أمام نظره وتنهار، وباتت تطلعاته وأحلامه بمواجهة أفق مسدود. وبموازاة ذلك راحت جميع المخاوف التي انتابت العقل السياسي التركي تتجسّد يوماً إثر آخر في جواره الجنوبي. إذ شرع الكابوس الكوردي الذي كان يخيم على أجواء السياسة التركية يتحقق بصورة عينية بدعم دولي ويحوم شبحه في الأرجاء. بمواجهة ذلك كانت هستيريا التصريحات السياسية تعلو

أكثر، من هنا كان لابدّ من إنعطافة نوعية من جانب أردوغان، ولربما حادّة، باتجاه ترتيب تحالفاته الإقليمية والدولية، وإن اقتضى ذلك منه الإقدام على تسويات أو تنازلات، للروس أو الإيرانيين أو حتى لبشار الأسد. كلّ ذلك مقابل أن يحتفظ لنفسه بدور أو موطئ قدم على الساحة السورية قبل فوات الأوان.
بدت محاولة الإنقلاب ليلة 15 تموز 2016، الملّغزة والغامضة، وكأنها ألقت بحبل نجاة لإنقاذ أردوغان من مأزق أجندته الداخلية وتحدياتها، وأتاحت له الفرصة الذهبية في أن يتخلص من معظم خصومه المدنيين والعسكريين في جولة واحدة، ويفرض إرادته الشخصية على كل مناح الحياة السياسية في البلاد، بصفته الحاكم الأوحد الذي لاينازعه أحد في النفوذ.
من هنا راح أردوغان يشيع خطاباً شعبوياً، يغازل فيه شعور الشارع التركي ومخاوفه، ويقدّم خلاله صورتين عن نفسه للرأي العام، فهو من جهة أولى المنقذ الوحيد والممثل للتطلعات المثالية للشعب التركي، والقيم الأكثر نبالة فيه. ومن جهة أخرى هو ضحية لتآمر دوليّ متعدد الأطراف والمشارب، وقد توحدت معاً في جبهة عريضة ضد تلك الأهداف الخلاصية النبيلة، وراحت تستخدم داعش ISIS و حزب الاتحاد الديمقراطي PYD وحزب العمال الكوردستاني PKK وجماعة فتح الله گولن في حلف غير مقدس ضده، إنه الوحيد القادر على صدّ تآمر كلّ هؤلاء ضده.
في ظلّ هذا الخطاب التصعيدي تخلص أردوغان من آلاف خصومه في المؤسسة العسكرية، ليس الفعليين فحسب، وإنما حتى المحتملين فيها. المؤسسة التي رفضت طوال الوقت دعمه المباشر للجماعات الإسلامية المتطرفة في سوريا، ولم تنصاع لأوامره في التدخل العسكري المباشر فيها. كذلك أقصى أردوغان وأطاح بالآلاف من معارضيه في المؤسسات التعليمية والإعلامية وفي مؤسسة القضاء.
باتت الأرض الآن ممهدة داخلياً، لحدّ كبير، لتنفيذ الرئيس كل خططه وبرامجه. لم يعد هنالك من يعارض تطلعاته السياسية. حتى الأحزاب المعارضة العلمانية والقومية التركية، بعد الإنقلاب راحت تنخرط بحماسة في مهرجان شعاراته القومية وفي خطاباته عن وحدة الجبهة الداخلية في مواجهة المخاطر. فقد

استطاع أردوغان أن يستغل بذكاء فطري ومكر حماسة الشارع واندفاعه في وجه الإنقلاب، في ترهيب القوى العلمانية (المعارضين المحتملين) داخل البرلمان، وفرض من خلال ذلك رقابة مرعبة قوامها طغيان الشارع ومنطقه، وبالتالي فرض عليهم تسويات وتنازلات، جعلت منهم مجرد مهللين ومصفقين لشعاراته بين حشود الجمهور التركي المتحمس.

في ظلّ هذه الأجواء، صار بمقدور أردوغان، أن يأمر مؤسسته العسكرية باقتحام الأراضي السورية وفرض سيناريوهات معينة، تتناسب مع مقاصده السياسية. وهذا ما حدث بالفعل، عن سابق تصور وتصميم. فقد اختارت تركيا يوم 24 آب لتقوم بغزوها لسوريا. وهي الذكرى الخمسمئة المصادفة لمعركة مرج دابق 1516م، التي انتصر فيها الغازي العثماني، الذي يجد فيه أردوغان مثله الأعلى وقدوته الحيّة، السلطان سليم الأول على السلطان المملوكي قانصو الغوري.

كانت الظروف الإقليمية والدولية التي أحاطت بالعملية، التي سميت بـ»درع الفرات» غايّة في التعقيد والضبابية، مع وجود نبرة سياسية جديدة اتجاه النظام السوري من جانب قيادة تركيا ورئيسها والإيحاء بإمكان بقاء بشار الأسد شريكاً في العملية السياسية والقبول به في المرحلة الإنتقالية. ومارست هذه التصريحات غوايتها على النظام السوري، الذي أغرته الرقصة التركية الجديدة فأظهر في البداية تمنعاً خجولاً إزاء الاجتياح والغزو التركي للأراضي السورية، بالرغم من أن الدولة التركية راحت وللمرة الأولى، تجهر بالإعلان عن دعمها المباشر للجماعات الجهادية المتطرفة، لوجستياً وإعلامياً. وأن هدفها ليس التخلص منها في جرابلس ومحيطها، كما أعلنت للعالم. كما أن بعض وسائل الإعلام العربي هلل للرواية التركية المكشوفة المآرب، وانساق خلالها إلى تقديم جحافل الجيش التركي الغاز على أنه جيش انقاذ، قادم لتخليص سوريا والمنطقة من آفة الإرهاب، التي عجز الجميع عن مقاومته.

كلّ هذا الصخب الإعلامي المصاحب للحملة كان الهدف منه هو شرعنة التدخل التركي، والتغطية على هدفه الحقيقي ألا وهو ردع الكورد والحؤول دون تمكّن قواتهم من تحرير الشمال السوري من الجماعات المتطرفة والموالية

لتركيـا، وتوحيـده تحـت إدارة كورديـة.

عمليـة «التحريـر» عـلى الطريقـة التركيـة لـ جرابلـس لم تكلّـف المحرريـن نقطـة دمّ واحـدة. وبخـلاف مـدن كثـيرة مثـل كوبـاني، سـنجار، منبـج، سـيرت الليبيـة، التـي تحولـت إلى أنقـاض بعـد تحريرهـا مـن داعـش، كانـت شـوارع مدينـة جرابلـس صبـاح اليـوم الأول مـن تحريرهـا المزعـوم، نظيفـة لا يعكـر صفـو هدوئهـا سـوى هتافـات تكبـيرٍ اسـتعراضية لثـوارٍ مشـذّبي اللحـى يرتـدون ثيـاب الجيـش الـتركي متسـلحين بأسـلحته وعرباتـه. والخلاصـة، بـدت مسرحيـة التحريـر هـذه كأنهـا أكـثر العمليـات الحربيـة في التاريـخ أناقـة و كرنفاليـة. الأمـر الـذي عـزّز شـكوك المراقبـين حـول المزاعـم التركيـة عـن التحريـر ومحاربـة داعـش.

حتـى هـذه البرهـة، تمكنـت القـوات التركيّـة مـن التوغـل في عمـق 15 كـم وبطـول 70 كـم في الأراضي السـورية، تمتـد مـن جرابلـس وحتـى بلـدة الراعـي، بـدت وكأنهـا في نزهـة ربيعيـة بالمعايـير الحربيـة الميدانيـة، ولم تتلقـى مقاومـة جـادة إلا في نقـاط التـماس مـع قـوات سـوريا الديمقراطيـة التـي تمكنـت مـن تدمـير أربـع دبابـات تركيـة، حسـبما هـو معلـن، لـدى أول صـدام بينهـما. بعدهـا سـارعت الولايـات المتحـدة إلى احتـواء هـذا الموقـف الخطـير الآخـذ بالاحتـدام، وذلـك عـبر فـرض هدنـة بـين الطرفـين تحـول دون المواجهـة بينهـما. وبالرغـم مـن إصرار المسـؤولين الأتـراك المتواصـل عـلى عـدم وجـود مثـل هـذه الهدنـة والتنكـر لهـا، انطلاقـاً مـن مكابـرة بعـدم الاتفـاق مـع منظمـة (إرهابيـة) حسـب زعمهـم، ومطالبتهـم الملحـة بـضرورة إنسـحاب القـوات الكورديـة إلى شرق نهـر الفـرات، إلا أن حضـور القـوات الكورديـة تواصـل واسـتمرّ في المناطـق التـي حررتهـا غـرب الفـرات، وهـي آخـذ بالانتشـار والتمـدد بالقـرب مـن مدينـة البـاب.

بعـد هـذا النجـاح العسـكري، اسـتغلّ الرئيـس الـتركي حضـوره في الـدورة الـ11 لـ قمـة مجموعـة العشريـن، التـي انعقـدت في مدينـة خوانجـو شرقـي الصـين يومـي 4 و5 أيلـول 2016، لإحيـاء دعوتـه، القديمـة الجديـدة، إلى إقامـة منطقة آمنة في سـوريا «حظـر جـوي» برعايـة تركيـة. هـذا الهـدف بالأسـاس كان موجـوداً منذ وقـت طويل ولم تنجـح تركيـا في تحقيقـه بسـبب معارضـة الولايـات المتحـدة الأميركيـة والمجموعة

الأوروبية. ولكن حماسة أردوغان مجدداً لإحياء مشروعه القديم، ما كانت ممكنة لولا هشاشة الموقف الروسي-الأمريكي إزاء غزو قواته للأراضي السورية، وإظهارهما لنوع من التفهم الإعلامي للدوافع السياسية والأمنية التركية. فضلاً عن التقارب التركي مع المحور الروسي الإيراني، الذي أراده أردوغان ليبتزّ به واشنطن ويساومها على القبول بمشروعها عن المنطقة الآمنة. رغم ذلك كانت التصريحات الألمانية والفرنسية إزاء المغامرة التركية أكثر جرأة، وراحت تحذّر من النوايا التركية، وكان في مقدمة المحذرين وزير الخارجية الفرنسي جان مارك أيرولت Jean-Marc Ayrault، الذي رحب بداية بمشاركة تركيا في التصدي لتنظيم الدولة الإسلامية، لكنه حذر من نزوع محتمل للتمادي لدى أنقرة نحو التعرض للقضية الكوردية في سوريا، مضيفاً، أنه أمر شرعي لتركيا أن تضمن أمن حدودها. لكن يجب الحذر من الغرق في العنف ونزوع محتمل للرغبة في التعرض لجزء من المسألة الكوردية في سوريا.

أيضاً المطالبة بحظر جويّ برعاية تركية بات محتملاً بعد التقارب والاعتذار، الذي أبداه الرئيس التركي للروس، وبهذا استطاع أردوغان أن يتخطى الحظر الذي فرضه هؤلاء على الطائرات التركية في المجال الجوي السوري بعد إسقاط طائرتهم.

تمكّن أردوغان بناء على تطور الأحداث من ابتزاز الجميع، كما يبدو ظاهراً، دون أن يتمكن بالفعل أن يحقق إنجازاً راسخاً لنفسه يتّسم بالديمومة. ولربما يتمكن من تحقيق وصاية على منطقة عازلة إلى حين ما، لكن يبقى هامش المناورة السياسية لديه في المنطقة التي احتلتها قواته، محدوداً للغاية.

إلى جانب ماسبق، يمكن الإقرار أن الإجتياح التركي تمكّن إلى حدّ ما من تعطيل استكمال الكوريدور الكوردي، جزئياً ولو إلى حين، دون أن يتمكن من منعه تماماً. فالقوات الكوردية هي الآن بصدد تشكيل قوس جنوبي يحيط بمنطقة النفوذ التركي في جرابلس ويمتدّ عبر منبج والباب إلى عفرين، وهو مؤهل بكل المقاييس الديموغرافية لتوحيد الإقليم الكوردستاني في سوريا وترسيخ تواصله الجغرافي.

الأحلام العثمانوبة لـ أردوغان، تقلّصت وانكمشت على نفسها، صارت محدودة بحدود جغرافية جرابلس، ولربما باتت محكومة أن تقبر هناك أيضاً. وهذا مايدركه الأمريكان والأوروبيون جيداً، ولعل هذا الأمر هو ما يفسّر جزئياً صمتهم الخجول إزاء مغامرته الأخيرة. لكن هذا الصمت يفسره أيضاً القلق العميق لدى الأوروبيين في التخلص من سيف ديموقليس، الذي سلّطه أردوغان على رقابهم، نعني بهذا مسألة اللاجئين السوريين، التي باتت ورقة رخيصة للإبتزاز والمتاجرة على يده يلوّح بها في وجه الأوروبيين كل حين.

فضلاً عما سبق، يمكن لهذه المنطقة أن تتحول إلى ملاذ وبؤرة استقطاب لآلاف الجهاديين والمتطرفين من المعارضة السورية، الذين يمكن إخضاعهم والتحكم بهم هنا بسهولة، وتقييد تحركاتهم، دون أن يتحولوا إلى تهديد متحرك ومنفلت في المجتمعات الأوروبية. وتستطيع تركيا بالمقابل أن تقايضهم بسهولة ورخص مع نظام بشار الأسد والأوروبيين، متى شاءت.

موطئ القدم التركي، الذي يثير خيال بعض المحللين السياسيين وحماستهم، بوصفه مسمار جحا التركي في جدار مستقبل سوريا السياسي، الذي سيضمن لتركيا دوراً أو قولاً فاصلاً على طاولة المفاوضات، هو ليس بتلك الأهمية الجيوبولتيكية المؤثرة على مسارات التغيير، وطالما أنه سيظلّ محدوداً بتلك الجغرافية التي رسمتها الدول الكبرى، وليس هنالك ما ينبئ بأنه سيسمح للنفوذ التركي أن يتسع أو يمتد إلى أبعد من هذا النطاق، وستظلّ العين التركية ترنو بحنين نوستلجي إلى مدينة حلب Aleppo دون أن تظفر برؤيتها عياناً أو عن قرب، كما ستظلّ تتطلّع إلى شقيقتها الموصل العراقية بحسرة أبديّة، ولن تشفع لها اللّيرة الذهبية عن كلّ منهما في الميزانية العامة في تحقيق حلمها المستحيل.

رغم هذه المكاسب العارضة، الناجمة عن التدخل العسكري التركي، يظلّ الطموح الأردوغاني في سوريا محكوماً بالفشل الناجم عن تحديات موضوعية تتعلق بالجغرافية والسكان، ناهيكم بتحديّات السياسة الدولية، من هنا فأن أيّة محاولة للخروج أو القفز فوق هذه الشروط سيعني سقوطاً مريعاً

لسياساته وحتى لنظامه، ولربما هذا هو الفخ الذي ينتظره من وراء إقدامه على غزو الأراضي السورية، وهو جزء من المكر المخبوء وراء الصمت الدولي.

ـ الإئتلاف المعارض والمجلس الوطني الكورديENKS

ليس ثمة بينة أو قرينة تنبئ عن استعداد المعارضة العربية السورية على الاعتراف بالحقوق القومية للكورد السوريين جذريّاً، أو إعلان القطيعة مع ميراث البعث العنصري وسياساته الإنكارية تجاه الكورد وقضيتهم حتى هذه اللحظة. وهذه القوى حين تجد نفسها مرغمة على الحديث عن الشأن الكوردي السوري، إنما تتحدث بطريقة عمومية وضبابية أقرب ما تكون إلى تصريحات وزراء أعلام حكومة البعث وناطقيه.

وهي في ذات الوقت تطالب الكورد بتأييد مطالبها السياسية بحزم دون الاكتراث لحقوقهم العادلة بالمقابل. ويتعذر اليوم الحديث عن تحالف مشترك للمعارضة السورية، شامل للكورد والعرب، بغياب هذا الخطاب الديمقراطي، الجذري والشامل، الذي يحتوي مطالب الكل ويستغرقها، ويؤكد على عدالة القضية القومية للكورد السوريين.

الخلفية السياسية والاجتماعية لمعظم قادة الإئتلاف المعارض تكشف بوضوح شديد عن طبيعة عدائهم المقنّع والمعلن للكورد وحقوقهم في غرب كوردستان، فالتاريخ الشخصي لمعظمهم يشرح لنا هذه المواقف المعادية واستعدادهم للخضوع لجميع الأجندة التركية بالنسبة لمستقبل سوريا والقضية الكوردية. فهم يتوزعون في ولاءاتهم بين بعثيين يمينيين سابقين، وأعوان سابقين للنظام انشقوا عنه، وإخوان مسلمين، ناهيكم بالميول الإسلامية المتطرفة لدى الكثير منهم. فضلاً عن ذلك يسجّل لمعظمهم مواقف سياسية سابقة مؤيدة لنظام صدام حسين والوقوف الحاسم ضد تطلعات كورد جنوب كوردستان في فترة التسعينيات والعداء الصريح لحركته السياسية.

ومع ذلك إنضم المجلس الوطني الكوردي في سوريا إليه وألقى بجميع

مطالبه السياسية أمام شعاراته العروب-إسلامية لقاء وثيقة مبادئ غير ملزمة وتسويفية عن القضية الكوردية. وهذا الإطار السياسي الذي أعلن معظم قادته، خلال السنوات الفائتة، عن رفضهم الصريح للمطالب الكوردية في الفيدرالية وعلمانية الدولة السورية، وأخضع تماماً لمطالب الخطاب السياسي التركي والسعودي إزاء الأزمة السورية. ففي مؤتمر رياض الأخير الذي انبثق عنه لجنة تفاوضية عليا، التزم أعضاؤه بوثيقة تؤكد على ضرورة التمسك بالهوية العربية الإسلامية لسورية في أية مفاوضات مقبلة. ناهيكم برفضهم أي تمثيل كوردي مستقل في أية لقاءات مقبلة أو حوارات محتملة.

كان الإئتلاف على الدوام غطاء سياسياً لشرعنة ممارسات الجماعات الجهادية في سوريا، فُرض على السوريين قسراً بإرادة إقليمية ودولية، وكان الهدف منه مصادرة القرار السياسي السوري المستقل واختزاله في كتلة تابعة لمراكز القرار الإقليمي. ففي معارك كوباني الطاحنة ضد داعش انساق الإئتلاف مع البروباغاندا التركية عن المقاومة الكوردية، وكذلك الأمر مع جميع الغزوات والإعتداءات التي حدثت في المناطق الكوردية من جانب الجماعات المسلحة للمعارضة. ففي أحسن الأحوال كان يلتزم الصمت المخزي، الذي ينم عن قبول ورضى غير معلنين عن تلك الاعتداءات مالم يبررها صراحة كما حدث في سري كانييه والمناطق الكوردية الأخرى.

بدا واضحاً إن أحد أبرز المهام السياسية للإئتلاف كان مواجهة وحدات الحماية الكوردية طبقاً للأجندة التركية، والسعي، بكل طاقته، لترويج بروباغاندا من شأنها تشويه سمعة القوات الكوردية في الداخل والخارج. وقد انساق المجلس الكوردي، التزاماً بعضويته، مع هذا الاتجاه السياسي، فمن أصل ٤٨٢ بيان أصدره المجلس خلال تاريخه، حسب بعض التقديرات، خصّ منها ٣٧٦ بيان لانتقاد وحدات الحماية وحزبPYD وإدانتهما أو التهجم عليهما. وهذا يكشف بوضوح عن طبيعة المهمة السياسية، أو حتى الهمّ السياسي الذي يشغل تفكير قادة الأنكس.

بكل الأحوال شهد نفوذ المجلس الكوردي في الشارع الكوردي انكماشاً بيّناً

وانحساراً، بخاصة بعد معارك كوباني، علاوة على فقدان الكثير من قادته السياسيين لثقة الأفراد نتيجة سلوكهم وارتهانهم لأجندة الإئتلاف المعارض واللهاث وراء امتيازاته المادية والمعنوية، وفقدان المجلس لقراره السياسي المستقل. غير أن هذا التراجع لم يصب في خدمة التوجهات السياسية لحزب PYD بالضرورة بقدر ما ترجم على شكل تعاطف وتأييد لانتصارات وحدات الحماية الشعبية وتضحياتها في الشارع الكوردي.

في عملية درع الفرات اندفع الإئتلاف المعارض بحماسة لتبرير الاجتياح التركي للأراضي السورية، التي تتذرع بها وتتبجح في كل حين تواجه فيه المطالب الكوردية بنوع من الحكم الذاتي. لم تعد تعنيها أيّة سيادة وطنية في هذه الحالة طالما أن الأمر يتعلق بنوع من الثأر المشفوع بالحقد والعجز اتجاه الانتصار الكوردي، حتى لو ابتلعت تركيا نصف الأراضي السورية، وأقامت عليها أرخبيلاً تركياً على منوال القبرص الشمالية. هذا النزوع الخفي لدى المعارضة السورية يكشف عن الذهنية العنصرية والمذهبية التي تتحكم بالسلوك السياسي لديها. لقد أدارت ظهرها، في هذه اللحظة للصراع مع النظام، وانصرفت تماماً لهدف وحيد هو شرعنة التدخل التركي ومساندته بهدف القضاء كليّاً على النفوذ الكوردي.

وبالمثل انساق عدد من ممثلي ENKS في الإئتلاف، مع هذا الموقف، مبررين الانتهاك التركي بوصفه تحريراً وحرباً على الإرهاب الداعشي والكوردي. لقد أعلن معظم ممثلي الدولة التركية أنهم يهدفون من وراء عمليتهم هذه ليس القضاء على التواجد الكوردي ونفوذه في شمال سوريا فحسب، إنما أيضاً الهدف من ورائها هو تقويض أيّ احتمال أو إمكانية لنشوء كيان كوردي هناك.

مستقبل الكورد بعد معركتي موصل والرقة

د.عثمان علي

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، جامعة صلاح الدين – اربيل

يبدو ان الدور البارز والمكاسب الانية التي حققتها الحركة الكوردية في الشرق الاوسط في ظل وجود تهديد تنظيم الدولة الاسلامية وما خلقته ذلك الوجود من فراغ امني وسياسي وعسكري في الشرق الاوسط ستنحسر نسبيا بعد ظهور بوادر تشكيل المحاور الأقليمية الرسمية ضد الحركة الكوردية المتنامية في القوة في كل من تركيا والعراق وسوريا وايران. ولكن بعض المكاسب التي حققتها الحركة الكوردية اكبر من ان تقضى عليها بجرة قلم او اجتماعات دول اقليمية. فلا تزال هناك فسحة امام تلك الحركة من الحفاظ على بعض مكاسبها اذا فهمت ابعاد اللعبة الأقليمية الجديدة وخففت من تناقضاتها وصراعاتها الداخلية وطرحت مشاريع طموحة وواقعية للتعامل مع مستجدات محيطها المحلي والأقليمي الجديد. في هذا الورقة نستشرف مستقبل الحركة الكوردية انطلاقا مما نراه في الافق من احداث اقليمية ودولية التي تتجسد في الافق بالتغيرات الجذرية الجارية الان . ولكن هناك في السياسة دهاليز مخفية لا يعرفها الا اصحاب القرار وقد نتفاجىء بقرارات منهم لم يكن في

حسبان المحللون السياسيون او قد تفرض الاحداث الطارئة امور لم يكن حتى في حسبان اصحاب القرار. فلم يكن مثلا ، في حسبان احد من المحللين السياسين الى الوقت القريب ان يحدث هذه التغييرات المحورية في سياسة تركيا الداخلية والخارجية. سنتطرق اولا الى العوامل المحيطة والمتداخلة في معركتي الرقة والموصل ومن ثم نستعرض السيناريوات المحتملة كنتائج لهذه المعارك في كل من سوريا والعراق ومآلاتها على الحركة الكوردية . واخيرا كيف يستطيع الكورد التأقلم مع الاحداث الجديدة في محيطها الأقليمي الجديد.

معركة موصل وحلب

يتوقع بعض المراقبون ان يحدث معركة موصل قبل حلب ويذهب اخرون الى القول من الممكن أن يبدا الهجوم على الموصل والرقة في وقت متزامن لاسباب عسكرية وسياسية محسوبة العواقب . فالهجوم المتوازي قد يجبر داعش الى تفتيت وبعثرة الجهود والتقليل من قدرته من وضع خطط دفاعية كفيلة للحرب في جبهتين في أن واحد. أو قد يبدأ الهجوم على احدهما بعد الانهيار الذي سيحدث في معنويات داعش من سقوط احد قلاعه الرئيسية في موصل او الرقة.

الطريق الى الرقة

وتعكس خطط امريكا الطموحة لموصل والرقة تحولا في سياسة ادارة الرئيس اوباما وتورط أعمق للولايات المتحدة التي لم يبلغ عنها بالكامل في الولايات المتحدة وسائل الإعلام أو الحديث عنها في الحملة الانتخابية الرئاسية وفي الآونة الأخيرة، اكتسبت القيادة المركزية إذن البيت الأبيض لنشر مستشارين من الولايات المتحدة مع القوات العراقية في مستوى الكتيبة و معوحدات

حمايـة الشـعب YPG و قـوات سـوريا الديمقراطيـة ، الـذي مـن شـأنه أن يضـع مستشـاري الولايـات المتحـدة والمدربـين في خطـر أكـبر، لكـن سـيعطيهم أيضـا المزيد مـن السـيطرة عـلى سـاحة المعركـة. ولكـن المعركـة القادمـة سـتكون بـادرة واشراف امريـكي الى حـد كبـير.

تعكـس المسـاعدات السـخية مـن الولايـات المتحـدة لقـوات وحـدات حمايـة الشـعب الثقـة العسـكرية الأمريكيـة الكبـيرة بهـم وأن داعـش حاليـا في تراجـع . منـذ بـدأت الحملـة يـوم 8 أغسـطس 2014، أطلقـت قـوات التحالـف التـى تقودهـا الولايـات المتحـدة أكـثر مـن 13000 ضربـة جويـة عـلى أهـداف عسـكرية لداعـش. كـما حسـمت الضربـات الامريكيـة أربعـة أهـداف عـلى المـدى القريـب وضعـت مـن قبـل الجيـش الأمريـكي لمكافحـة داعـش وهـي عـلى وشـك الانتهـاء: لتحقيـق الاسـتقرار في الأنبـار، وإعـداد قـوات التحالـف البريـة للهجـوم عـلى الموصـل، تنظيـم الحملـة البريـة في سـوريا لهجـوم مخطـط عـلى الرقـة وتكثيـف تدفـق الأسـلحة للقـوات البريـة المضـادة للداعـش[27] . وتسـتند الخطـة الامريكيـة الجديـدة عـلى اشراك العـرب السـنة مبـاشرة في الحـرب. وفي شـهر اذار 2016 عقـد اجتـماع موسـع لـدول التحالـف التـي تقودهـا امريـكا ضـد داعـش في واشـنطن واتفقـوا عـلى تصعيـد الهجـوم العسـكري لاحتـلال كل مـن الرقـة وموصـل وتـم وضـع خطـط عسـكرية لتحقيـق الهـدف. ولكـن في المـسرح العراقـي كان هنـاك نـزاع في البيـت الشـيعي وتـم تاجيـل خطـة الهجـوم عـلى الموصـل والتركيـز عـلى فلوجـة. واخـيرا قامـت الولايـات المتحـدة لتدريـب وتجهيـز قـوة عربيـة للقتـال مـن أجـل الرقـة سـميت بقـوات السـورية الديمقراطيـة، وتصـل عـدد هـذه القـوة حـوالي 20 الـف ، فحـوالي 6 الاف منهـا مـن العـرب والمسـيحين وتشـكل قـوات وحـدات حمايـة الشـعب العمـود الفقـري لهـذه القـوة[28] . امـا في السـاحة السـورية فقامـت قـوات سـوريا الديمقراطيـة بالتنسـيق مـع قـوات التحالـف الـدولي باخـذ الاسـتعدات

(27) - http://www.politico.com/magazine/story/201608//iraq-offensive-2016-mosul-islamic-state-isis-isil-obama-foreign-policy-kurdish-214121#ixzz4IYUGg7zf

(28) - In Syria and Iraq, the Islamic State is in retreat on ... - Washington Post https://www.washingtonpost.com/...syria.../a0e33774-f1011-..

لمعركة طوق الرقة. وحاولت الولايات المتحدة كسب الدعم العربي الرسمي خاصة دول مجلس التعاون الخليجي وتركيا للمعركة ، ولكن دون فائدة. فتركيا اشترطت ان لا يكون هناك دور لقوات سوريا الديمقراطية في العملية وكما لم يكن دول الخليج متحمسة لمعركة الرقة لعدم دعم ولايات المتحدة لهم في معركة اليمن.

فقامت قوات سوريا الديمقراطية بعمليات عسكرية لاحتلال مواقع لداعش في قرى والمدن الصغيرة المحيطة بالرقة. وهكذا تم الهجوم من قبل قوات سوريا الديمقراطية من محور عين عيسى وسد تشرين والشدادية بدعم التحالف الغربي، وحققت قوات سوريا الديمقراطية انتصارات كبيرة وبهذا نالت اعجاب وتقدير التحالف. ولكن حسب مراسل واشنطن بوست تم تاجيل الهجوم على الرقة لوجود تعارض الاجندات بين القوات التي تحاول طرد داعش من المدينة، وكان هناك توتر بين الكورد والعرب بشأن من سيشارك وكيف يحكم المدينة بعد أن تم تحريرها. أعلنت وحدات حماية الشعب انها تنوي ضمها ضمن الأقليم التي شكلتها باسم الكانتونات .

وفي اب 2016 قال قائد جيش التحالف ضد داعش الجنرال شون مكفارلاند، انه سيتم قريبا الانتهاء من داعش في المدينة الحدودية السورية منبج، وأن هذا سوف يمهد الطريق لاستهداف الرقة [العاصمة الفعلية للدولة الإسلامية-داعش]، أفاد مسؤول موقع وزارة الدفاع الأمريكية. ان قوات سوريا الديمقراطية حققت التقدم عن طريق طرد داعش من الشدادي، والحسكة، وتشرين. وأضاف «.ان استعادة السيطرة على منبج مهدت الطريق لهجوم في نهاية المطاف للاستيلاء على الرقة»، وقال مكفارلاند، أن استعادة السيطرة على الرقة ستكون بداية النهاية لداعش في سوريا. وأضاف «خلال هذه العمليات، [الذي قادته الولايات المتحدة] وطائرات التحالف أجرت حوالي 50 الف طلعة جوية ضد داعش في العام الماضي»، وقال «وخلال هذه الطلعات الجوية وصلت الى 30 الف هجوم وشل حوالي ما يقرب من ثلثي قواته في العراق وحوالي الثلث في سوريا. وقدر قائد القوات الأمريكية أنه في الأشهر ال 11 الماضية، قتل حوالي

25 الـف مقاتـل مـن داعـش[29] . وفي كانـون الأول/ ديسـمبر المـاضي، اسـتطاعت قـوات سـوريا الديمقراطيـة مـن الاسـتيلاء عـلى جيـب صغـير مـن الأراضي غـرب سـد تشريـن. فاطلقـت أنقـرة بعـض التهديـدات، ولكـن عـلى الأقـل يبـدو ظاهريًـا أنهـا قبلـت بمـا قالتـه الولايـات المتحـدة بـأن العمليـة اسـتندت إلى مكونـات غـير كورديـة مـن قـوات سـوريا الديمقراطيـة، وأنـه مـن شـأن وزارة الدفـاع الأمريكيـة أن تقيـد مـن طمـوح الكـورد مـن التقـدم أبعـد مـن ذلـك. ثـم، في شـهر مايـو، توسـع جيـب سـد تشريـن فجـأة نحـو الغـرب عندمـا ابتلعـت قـوات سـوريا الديمقراطيـة مركـز داعـش الأقليمـي في منبـج. بعـد حصـار لمـدة شـهرين، سـقطت المدينـة في منتصـف أغسـطس/ آب. وذكـر كل مـن الأتـراك والأمريكيـون بعـد ذلـك أن الكـورد في قـوات سـوريا الديمقراطيـة قـد وعـدوا بالانسـحاب بعـد المعركـة وأنهـم سـيتركون المدينـة تحـت سـيطرة الفصائـل الأصغـر حجـما ومعظمهـا مـن العـرب (ليسـوا مـن حـزب العـمال الكوردسـتاني). وقـال وزيـر الخارجيـة مولـود تشـاويش أوغلـو يـوم 15 آب: «إننـا نتوقـع منهـم الالتـزام بوعدهـم . وافقـت الولايـات المتحـدة العـام المـاضي عـلى أنهـا سـتمنع قـوات سـوريا الديمقراطيـة مـن التحـرك عـبر نهـر الفـرات في منطقـة حلـب، حيـث تقـع جرابلـس. ذلـك سـيكون خطًـا أحمـرًا مضمونًـا مـن الولايـات المتحـدة، في مقابـل تعـاون تركيـا بشـأن مسـألة داعـش(30) «.

ولكـن الـروس بدروهـم يدركـون ايضـا ان أيـام داعـش في السـيطرة عـلى المـدن باتـت معـدودة لذلـك كثفـوا في الاونـة الاخـيرة الدعـم العسـكري لحلفائهـم مـن النظـام السـوري والمليشـيات المؤيـدة لـه للزحـف عـلى الرقـة. فمنـذ 10 فبرايـر يشـن الجيـش السـوري حملتـه للوصـول عـلى الرقـة مـن جنـوب غـرب البـلاد، عـلى طـول الطريـق السريـع 42، السـلامية - الرقـة. وفي 28 مايـس، كانـت القـوات السـورية نحـو 15 ميـلا إلى الـشرق مـن الرصافـة، احـدى المـدن الكـبرى الأخـيرة عـلى طـول الطريـق السريـع 42 قبـل الرقـة، وتقاطـع اسـتراتيجي مـع الطريـق السريـع

(29) - US Commander: Retaking Manbij will set the stage for attack on ISIS ...
aranews.net/.../us-commander-retaking-manbij-will-set-stag...

(30) - بعد الدبلوماسية الغامضة، تركيا تتدخل في سوريا | ترك برس
www.turkpress.co/node/25371

6. هـذا يضعهـم (القـوات السـورية) عـلى بعـد 30 ميـلا، بالإضافـة إلى ذلـك، كانـت القـوات السـورية نحـو 20 كـم جنـوب غـرب سـد الطبقـة ، والأهـم مـن ذلـك قـام داعـش بتحويـل السـد إلى قلعـة عسـكرية. وقـام داخـل السـد بتخزيـن الإمـدادات العسـكرية هنـاك. علـما ان عـبر نهـر الفـرات وقريـب مـن السـد هنـاك بحـيرة الأسـد وانهـا أكـبر بحـيرة في سـوريا، وحـوالي 40 ميـلا مـن الرقـة. وقـد امتنعـت القـوات الجويـة الروسـية والأمريكيـة مـن ضرب تحصـن المسـلحون في سـد الطبقـة ايضـا -خوفـا مـن أن الأضرار التـي سـتللحق بالسـد والتـي يمكـن أن يطلـق العنـان لفيضانـات كارثيـة. وان مسـلحي داعـش هـددوا بنسـف السـد في حالـة تعـرض الرقـة الى الهجـوم.

لذالـك فـإن معركـة الرقـة هـي معركـة بالوكالـة بـين روسـيا والولايـات المتحـدة. إذا نجـح الجيـش السـوري في الاسـتيلاء عـلى الرقـة أنـه سـيؤكد فعاليـة الكرملـين في تدخلـه في سـوريا،ومما يعـزز ادعـاء موسـكو للحملـة التـي تقودهـا روسـيا، أو عـلى الأقـل، بقيـادة المشـترك، ضـد الدولـة الإسـلامية والجماعـات الجهاديـة الإسـلامية الأخـرى، وكذلـك يفضـح فشـل سياسـة أوبامـا والبيـت الأبيـض في سـوريا.

ولكـن بالمقابـل ان انتصـار قـوات وحـدات حمايـة الشـعب الكورديـة مـن شـأنه عـلى الأقـل ان تسـمح لادارة أوبامـا لتعلـن أنهـا نجحـت في هزيمـة الدولة الإسـلامية، وأنهـا تفعـل ذلـك، وخلافـا للخطـة الروسـية فانهـا عملـت ذلـك باقـل الاضرار للمدنيـين. ووصفـت بعـض الصحـف المحليـة الهجـوم عـلى الرقـة « بالسـباق الى الرقـة» بـين القـوى الموالـية للتحالـف الامريـكي ووقـوات النظـام المتحالـف مـع روسـيا وايـران[31] .

الطريق الى موصل

ويبـدو أن عـدم التماسـك السـياسي وأجنـدات متضاربـة بـين القـوى التـي تنـوي اسـتعادة الموصـل مـن أبـرز التحديـات الرئيسـية لهـذه المعركـة. الى جانـب ذلـك،

(31) - اتبع جوزيف ف. ميكاليف على تويتر: www.twitter.com/JosephVMicallef

وعلاوة على ان مهمة محاربة قوات داعش المتكونة من 10 الاف مقاتل شرس والمتحصنين في وسط المدينة المكتظة بالسكان (لا يقل عن مليون)الذين سيتم استخدامها كدروع بشرية. بغض النظر عن كيفية ومتى سوف يطرد داعش من الموصل، فإن مرحلة ما بعد الموصل ستواجه العراق مجموعة من التحديات والتي لم يتم تناولها من قبل الحكومة و قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة في هذا الحرب. وبخلاف الاستعداد لمعركة الرقة يبدو ان تخطيط الحرب وادارته وتنفيذه ستكون مبادرة امريكية رغم ان الامريكان يقولون علنا ان رئيس الوزراء حيدر العبادي هو الذي يخطط المعركة وتوقيته وطبيعة القوى المشاركة فيها.

يرى بعض المراقبون ان الهجوم على الموصل ستكون بالتزامن مع الهجوم على الرقة وذالك ليكون انهاء وجود داعش في هذه المدينتين مكسبا كبيرا للرئيس اوباما والديمقراطيين قبل رحيله وتساعد حملة انتخابات هيلاري كلنتون، المرشحة الديمقراطية في الانتخابات الرئاسية الامريكية في تشرين الثاني –نوفمبر. لذلك سيكون توقيت الهجوم على الموصل في شهر تشرين الاول-اكتوبر من عام 2016.[32]

يبدو ان إدارة أوباما عازمة على جعل العراق خالي من داعش احد مكاسبه فى الحكم وخلافا لسياسته السابقه المتميزة بنوع من الانعزالية والتي تلخصلت بقوله « لن يكون المزيد من الجنود الامريكية على اراض اجنبية وفي الشرق الاوسط «، فقد بدأت ادارته في الآونة الأخيرة سياسة هجومية وفعالة في العراق لانهاء وجود الإرهاب ممثلا في داعش في العراق وسورية. وخلال الأشهر القليلة الماضية كان هناك حركة المرور الكثيفة من قبل كبار الجيش الأمريكي والمسؤولين السياسيين إلى العراق، خاصة الى بغداد واربيل. وقررت حكومة الولايات المتحدة فجأة لارسال 560 من الجنود الأمريكيين إلى العراق اضافة الى قواتها الموجودة، بما في ذلك القوات الخاصة (النخبة قوة دلتا)،

(32) - ww.politico.com/magazine/story/201608//iraq-offensive-2016-mosul-islamic-state-isis-isil-obama-foreign-policy-kurdish-214121

والمزيد من طائرات هليكوبتر أباتشي، وتعمير القاعدة الجوية العسكرية من قبل ألامريكيين في قيارة 40 كم جنوب الموصل، لتكون منطلقا لهجوم القوات العراقية ولتوفير القوة النارية اللازمة للقوات العراقية التي سوف تقوم باقتحام الموصل.[33] وعلاوة على ذلك وبطريقة مشابهة جدا لتوظيف عام 2006 للقبائل العربية السنية في محافظة الأنبار ضد تنظيم القاعدة، بدأ ضباط عسكريون أمريكيون بتوزيع الأموال لمشايخ القبائل العربية السنية في الموصل والمناطق المحيطة بها. وفي زيارته الأخيرة للعراق، قال وزير الدفاع اشتون كارتر، «الجميع يعرف الحرب في العراق هي النضال من أجل الموصل وأن النصر هناك سيؤدي الى نهاية اللعبة في العراق».[34]

ويصرح المسؤولون العسكريون الأمريكيون الذين رسموا خطة المعركة للموصل ان الخطة» هي لعزل الموصل، وخنقها وقتل من فيها من الدواعش «، ونقلت الصحيفة عن ضابط كبير من القيادة المركزية الأمريكية، ستحاط الموصل في حركة كماشة معقدة من القوات العسكرية العراقية تقاتل طريقهم الى المدينة من الجنوب الشرقي والقوات الكوردية تقوم باقتحام المدينة من الشمال الغربي والشرق. ونقل عن جون بول دبيرو ، ضابط العمليات في التحالف الدولي لقتال داعش « فان معركة موصل ستكون معركة صعبة».[35]

واستنادا إلى الخبرة السابقة مع الاستيلاء على تكريت والرمادي، ومن المرجح أن يشهد حملة على الموصل فترة طويلة وستشهد قتال من شارع إلى شارع مع استخدام العبوات الناسفة وكذلك استخدام الأنفاق وتسديد الضربات بشكل غير متوقع في الجزء الخلفي من القوات العراقية المهاجمة ، وسوف تطول على أقل تقدير، شهري تشرين الثاني و كانون الاول و تمتد على الأرجح إلى عام

---

(33) - US Army›s elite Delta Force counter-terrorism unit sent in ... - Daily Mail
www.dailymail.co.uk/.../US-Army-s-elite-Delta-Force-counter-terrorism-unit-unleashed-..

(34) - US Pressuring Syrian Arab Tribesmen to Join Kurdish-led SDF: Source
syrianobserver.com/.../US_Pressuring_Syrian_Arab_Tribes...

(35) - Iraq puts northern offensive against Islamic State on hold - Yahoo!
https://ca.news.yahoo.com/iraq-puts-northern-offensive-against-islamic-state-hold-15

2017. يلاحظ باتريك مارتن ، من معهد دراسات الحرب، وهو مؤسسة بحثية في واشنطن، «لان داعش يعرف بان سقوط الموصل حتمي ويشير، في الواقع، الى هزيمتها في العراق. لذلك ستحاول تأجيل تلك اللحظة لطالما ما في وسعها».[36]
وكلما اقتربت معركة الموصل ازدادت حدة التوتر بين حكومة إقليم كوردستان وبغداد . يدعي الكورد أنهم يعانون من التهميش التي يمارسه ضدهم العبادي. ويرى العبادي أن قادة حكومة إقليم كوردستان، وخاصة مسعود البارزاني، يحاول استخدام المعركة للاستيلاء على مزيد من الأراضي في المناطق المتنازع عليها. ويدعي القادة العراقيون ان الكورد يضعون مطالب غير معقولة، فمنها اقتطاع اكثر من 15 وحدة ادارية تسكن فيها الكورد والاقليات الدينية في سهل نينوى.[37]
يدعي الكورد أنه بعد تحرير القيارة والسيطرة على القاعدة الجوية هناك ،ان الحكومة العراقية تشعر أنها لا تحتاج إلى أراضي حكومة إقليم كوردستان إلى شن الحرب على الموصل. وتحاول تهميش دور الكورد في المعركة. علما سبق وان استبعدت الحكومة المركزية ممثلي حكومة إقليم كوردستان من اجتماع للائتلاف المناهض لداعش في واشنطن. ثم في اليوم الأول من لاجتماع الائتلاف في واشنطن صرح وزير الدفاع العراقي السابق، خالد العبيدي لمجموعة من الصحفيين، «نحن لن نسمح للقوات الكوردية ان تشارك في معركة الموصل»[38]
هذا وأعقب علي البديري العضو البرلماني من كتلة دولة القانون، التابع للتحالف الوطني الشيعي على الازمة قائلا « إذا البيشمركة الكوردية تعرقل عملياتنا في الموصل، نحن سوف نعتبرهم من الجماعات الخارجة على القانون ويكون التعامل معهم وفقا لذلك».[39]
وقام المسؤلون الامريكيون بجهود حميمة ومكثفة للحصول على دعم قوات

---

(36) - Islamic State in Iraq: The last battle - The Economist
www.economist.com/.../21696951-long-fight-retake-iraqs-second-biggest-city-mosul-

(37) - بغداد تردّ على «شروط» أربيل قبل معركة الموصل: البيشمركة قوة إرهابية إذا ...
www.al-akhbar.com/node/261972

البيشـمركة الكورديـة للمعركـة. ففـي 12 تمـوز، وقعـت الولايـات المتحـدة رسـميا عـلى بروتوكـول سـميت بالتفاهـم العسـكري مـع حكومـة إقليـم كوردسـتان لضـمان اشراك البيشـمركة في المعركـة.[40] و خلـف الكواليـس قـام المسـؤولون الأميركييـون ومـن ضمنهـم جوزيـف دانفورد، رئيـس هيئة الأركان المشـتركة، بوسـاطة للوصول الى حـل وسـط بـين البـارزاني والحكومـة المركزيـة. شـملت التسـوية مشـاركة البيشـمركة في المعركـة كقـدرة داعمـة (قـوة مسـاندة للجيـش العراقـي). و في 30 تمـوز- يوليـو بعـد أن التقـى مسـعود البـارزاني المسـؤولين الامريـكان صرح: انـه مـن المسـتحيل إن يتـم تحريـر الموصـل دون البيشـمركة وأنهـا ستشـارك في العمليـة لكنهـا لـن تدخـل مدينـة الموصـل». ووفقـا لجبـار اليـاور ،امـين عـام وزارة البشـمركة في حكومـة اقليـم كوردسـتان، سيشـارك الكـورد في المعركـة ب 50 الـف مـن البشـمركة . وفي 13 تمـوز التقـى مسـعود البـارزاني رئيـس اقليـم كوردسـتان مـع فالـح الفيـاض، المستشـار الامنـي للعبـادي ، في صـلاح الديـن في محافظـة اربيـل بـاشراف الامريـكان واتفـق الطرفـان بتنسـيق الجهـود في الحـرب وان تكتفـي البيشـمركة بمسـاندة القـوات العراقيـة وان لاتدخـل مدينـة الموصـل.[41] وان هـذه التفاهـمات ظلـت غامضـة وقـد فـسره كل مـن الطـرف الكـوردي والحكومـة المركزيـة حسـب فهمهـم لهـا. ففـي 17 آب صرح العبـادي ان التفاهـم مـع اقليـم كوردسـتان يقـضي بانسـحابهم مـن جميـع المناطـق المتنازعـة عليهـا حسـب المـادة 140 مـن الدسـتور العراقـي و التـي سـيطر عليهـا البيشـمركة. وهـذا مـا رفضـه القـادة العسـكريون والسياسـيون في اقليـم كوردسـتان . فيقـول ممثـلي حكومـة اقليـم كوردسـتان بانهـم لـن ينسـحبوا

(38) - Iraqi-Kurdistan Baghdad-Erbil bickering overshadows Mosul battle
www.al-monitor.com/pulse/.../iraq-government-marginalize-kurds-mosul-battle.html

(39) - بغداد تردّ على «شروط» أربيل قبل معركة الموصل: البيشمركة قوة إرهابية إذا .. www.al-akhbar.com/
node/261972 .

(40) - US-KRG military deal ‹unconstitutional› claim Baghdad MPs ...
rudaw.net/english/kurdistan/18072016

(41) - Barzani: Post-liberation Mosul will not accept the old order - Rudaw
rudaw.net/mobile/english/kurdistan/130820163

مـن اي منطقـة كورديـة تـم تحريرهـا بدمـاء البيشـمركة . وقـال شـيخ جعفـر سـيد مصطفـى ، قائـد عسـكري كبـير مـن الاتحـاد الوطنـي، « لـن يسـتطيع احـد ان يجبرنـا عـلى الانسـحاب ولـو مـن شـبر مـن آراضي كوردسـتان المحـررة. وان العبـادي لـن يسـتطيع ان يصـل الى هدفـه الا بالمـرور عـبر اشـلاءنا».[42]

وان هنـاك عامـل اخـر في تحديـد مصـير معركـة موصـل وسـتكون لـه تأثـير في مجريـات الاحـداث بعـد المعركـة وخاصـة في علاقـة القـوات العراقية مع البيشـمركة. وهـو وجـود مليشـيات الحشـد الشـعبي. وقـد اعلـم العبـادي وبشـكل لا لبـس فيـه مـن قبـل أمريـكا وزعـماء السـنة في الموصـل عـلى حـد سـواء أن الميليشـيات العراقيـة الغـير المنضبطـة ليسـوا موضـع ترحيـب في الموصـل ان وجودهـم في المعركـة ستسـاعد فقـط في إطالـة أمـد الحـرب.

وقامـت الجماعـات الشـيعية مـن جانبهـم بالتهديـد باسـتهداف المسـؤولين الأمريكيـين العسـكريين في العـراق. وقـال مقتـدى الصـدر، القائـد الشـيعي البـارز، «أن الأميركيـين في العـراق سـيكونون هدفـا مشروعـا لنـا».[43] واضـاف هـادي العامـري، رئيـس منظمـة بـدر المـوالي لايـران ،»اننـا ذاهبـون للمشـاركة في معركـة الموصـل ولا أحـد يسـتطيع أن يمنعنـا مـن القيـام بذلـك»، وصرح نائبـه ابـو مهـدي المهنـدس «سـنكون في الموصـل بغـض النظـر عـن رغبـة الارهابيـين مـن البعثيـين والسـعوديين والأتـراك».[44]

في البدايـة، حـاول العبـادي اقناعهـم بالحيلولـة دون اشـتراكهم في معركـة موصـل خوفـا مـن تكـرار أعـمال العنـف الطائفـي التـي وقعـت بعـد تحريـر تكريـت والرمـادي والفلوجـة. ومـع ذلـك، وقـع بـدوره تحـت ضغـط مـن رجـال الديـن الشـيعة والمنظـمات السياسـية العراقيـة الموالـية لإيـران وبالتحديـد كتلـة دولـة القانـون. وهكـذا، فقـد صرح العبـادي قائـلا «للحشـد دور في هـذا الواجـب الوطنـي ولا أحـد لديـه الحـق في اسـتبعادها مـن معركـة الموصـل».[45] اعتقـد أن كلا مـن العبـادي والولايـات المتحـدة ستسـمح للحشـد الشـعبي للعـب دور في هـذه

(42) - قيادي كوردي: البيشمركة لن تنسحب من مناطق حررتها بالدم - . www.kurdistan24.net/ ..

(43) - العراق: مقتدى الصدر يهدد بضرب الجنود الأمريكيين فى القيارة www.youm7.com/.

(44) - http://www.nrttv.com/AR/Detail.aspx?Jimare=25643

المعركة بسبب الحاجة للخبرة القتالية اللازمة عند الحشد وان الطرفين يهمهما النصر السريع المؤكد ولن تكون تصرف الحشد هنا مختلفا عن تصرفاتهم في المحافظات السنية الاخرى. وسيكون معركة الموصل شاهد آخر، رغم انكار الطرفين ، على وجود شراكة الأمر الواقع الغير المعلن بين إيران والولايات المتحدة في الحرب ضد داعش.

السينوريات المتوقعة بعد طرد داعش من موصل والرقة

يتوقع الكثير من المراقبين السياسيين ان انهاء احتلال داعش لموصل والرقة يعطي فرصة للقضاء على ارهاب داعش ولكن المنظمة اثبتت قدرتها على اعادة تشكيل وحداتها الضاربة في المنطقة ونقل نشاطها الى مناطق اخرى ضمن البلدين او في العالم الاسلامي وخاصة الغرب وان الهجمات التي تعرضت لها حديثا المدن الاوروبية وامريكا وشمال افريقيا دليل على هذا الرأي.[46] اذن القضاء على داعش يحتاج لبرنامج شامل تحتوي على ازالة الاسباب التي مهدت الارضية لظهور داعش . وهذا ما لا نراه في العراق وسوريا في المستقبل المنظور. نشر موقع ميدل ايست بريفنك في واشنطن تقريره الشهري في حزيران بعنوان (حقول الألغام الاستراتيجية في مرحلة ما بعد داعش في سوريا والعراق) . يعتبر هذه التقرير قراءة دقيقة للنتائج التي تؤول اليها الاحداث في كل من سوريا والعراق. يقول معدو التقرير، يخطأ من يتصور أن هزيمة تنظيم الدولة يعني نهاية الازمات في حكم البلدين . ويضيف التقرير سيذكر مراقبوا الاحداث ان ازمة داعش فقط مرحلة قصيرة ودموية في تطور عملية أعمق وأكثر تعقيدا من التحول السياسي في سوريا والعراق وما ستتركه الصراع الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وايران للهيمنة والنفوذ داخل سوريا والعراق.

فهناك صراع وتناقض في الاهداف والمباديء والاستراتيجيات المتبعة بين ايران و الولايات المتحدة في هذين البلدين . تركز الولايات المتحدة فقط على هزيمة داعش وضمان الاستقرار السياسي للحفاظ على مصالحها في المنطقة من خلال

دعـم نظـام ديمقراطـي علـماني فيـدرالي في البلديـن . ففي المشـهد العراقي تسـتهدف إيـران السـيطرة عـلى المنطقـة الممتـدة مـن حـدود العـراق مـع سـوريا في الغـرب إلى نقطـة قريبـة مـن خانقـين عـلى الحـدود مـع إيـران. وان إيـران حتـى لا تنكـر نيتهـا للسـيطرة عـلى تلـك المنطقـة مـن خـلال أتباعهـا خاصـة الاحـزاب والمليشـيات التابعـة لهـا. وتسـعى إيـران لإقامـة جـسر مـن الحـدود العراقيـة الشرقيـة الى السـاحل السـوري عـلى البحـر المتوسـط. وان هـذه الاسـتراتيجية تقتـضي بنـاء جـسر التواصـل مـع حـزب اللـه في لبنـان . واوكلـت هـذه المهمـة لفيلـق قـدس وقائـده قاسـم سـليماني ، ويتطلـب هـذه الاسـتراتيجية افـراغ قسـم كبـير مـن الوسـط السـني مـن سـكانها والهيمنـة عليهـا مـن خـلال المليشـيات التابعـة لهـا في العـراق . لذالـك نـرى ان اعضـاء هـذه المليشـيات يرفضـون أن يغـادروا أيـة بلـدة سـنية تتحـرر مـن داعـش. وفي كثـير مـن الحـالات، حتـى أنهـا ترفـض السـماح للقرويـين الذيـن فـروا مـن القتـال في العـودة إلى ديارهـم.[47]

امـا في المشـهد السـوري وعـلى غـرار المهـمات التـي اوكلـت لسـليماني للسـيطرة عـلى وسـط العـراق، اوكل ايـران لبشـار الاسـد مهمـة مماثلـة . قـال بشـار الأسـد في 7 حزيـران مـن هـذا العـام ، انـه سـوف يسـتعيد «كل شـبر في سـوريا».[48] كلا الهدفـين تتـماشى مـع اسـتراتيجية إيـران الأقليميـة المذكـورة أعـلاه. وهـذا يختلـف مـع أهـداف الولايـات المتحـدة لتحقيـق الاسـتقرار في بـلاد الشـام والعـراق. ولكـن في حـين يتعـثر التـزام الولايـات المتحـدة عـلى المـدى الطويـل باسـتراتيجيته مـع مـرور الوقـت، مـن المعـروف أن إيـران تتحـلي بالصـبر والنفـس الطويـل في تطبيـق اسـتراتيجيته. وكـما في العـراق سـتقوم ايـران بدعـم نظـام الاسـد مـن خـلال المليشـيات العراقيـة واللبنانيـة والافغانيـة والحـرس الثـوري الايـراني لادامـة حكـم الاقليـة العلويـة المتحالفـة معهـا في دمشـق. وهـذا تصطـدم مـع المـشروع الامريـكي الـذي تحـاول تطويـره ، مـع الدعـم الـروسي والتنسـيق معـه، لمسـتقبل

(47) - Iraq›s Shia Militias Accused of War Crimes in Fight Against ISIS - The ...
www.thedailybeast.com/.../iraq-s-shia-militias-accused-of-w...

(48) - الأسد يتعهد بمواصلة القتال و"استعادة كل شبر من سوريا" | أخبار | DW ...
www.dw.com/ar/الأسد-يتعهد...كل-شبر-من.../a-19312456

سوريا ما بعد داعش المستند الى نظام لامركزي علماني. والفكرة هي مشروع الدستور الذي يناقش حاليا مع الروس والقوى الاخرى ذات العلاقة بالتفصيل. وتقوم ذلك على تقسيم سوريا إلى مناطق مختلفة؛ سيتم ادارة كل وحدة ادارية من قبل»اللجنة الأقليمية». وسيتم اختيار أعضاء اللجان الأقليمية من خلال الانتخابات في كل منطقة بشكل مستقل.وعلاوة على ذلك، سوف يكون هناك اثنين من الهيئات الوطنية: المجلس الأقليمي التي تضم ممثلين عن كل لجنة إقليمية و «مجلس الشعب» الوطنية. في حين أن الحكومة ستمارس بعض المسؤوليات التي كانت حصرية سابقا للرئيس. الرئيس، وفقا للمشروع، يحتفظ بالحق في تعيين وزراء وله قيادة شبه مطلقة للجيش وقوات الأمن.[49] اذن ان هناك تعارض واضح للرؤية المستقبلية. فالرؤية الايرانية تحاول اعادة صياغة الامر الواقع :نظام الاقلية العلوية في سوريا والاكثرية الشيعية في العراق الذي ساعد كثيرا على ظهور التطرف السني في البداية باسم القاعدة ومن ثم داعش . لذلك ستستمر التطرف بين الاكثرية السنية في سوريا والاقلية السنية في العراق التي تعاني حاليا من الابادة والتهميش السياسي . كما ان النموذج الايراني يتجاهل المكون الكوردي السني والقومي في كل من العراق وسوريا. [50] وقد تلجأ ايران الى استمالة الدعم التركي للقضاء على المطامح الكوردية في سوريا ممثلة بحزب الاتحاد الديمقراطي المرتبط ب حزب العمال الكوردستاني . وان»حملة درع الفرات» قد تتطور الى اطارات اكبر واوسع. ولكن التحالف الايراني-التركي بدوره هش ايضا لانها تتعارض مع دعم تركيا لطموحات السياسية لعرب السنة في سوريا التي ترتبط منظماتها السياسة (خاصة المجلس الوطني السوري والجيش السوري الحر) بعلاقات وطيدة مع تركيا.

اما في العراق فان السيناريوهات المتوقعة لا توحي بكثير من الامل لمستقبل العراق بعد طرد داعش من موصل ايضا.

---

(49) - Strategic Minefields in the Post-ISIL Syria and Iraq | Middle East Briefing mebriefing.com/?p=2372

(50) - The regional impact of U.S. policy toward Iraq and Syria | Brookings ... https://www.brookings.edu/.../the-regional-impact-of-u-s-po

وكـما ذكرنـا اعلاهـا ان الاهـداف الاسـتراتيجية الايرانيـة في العـراق هـو «ايرنـة العـراق» اي اعـدادة بنـاء النمـوذج الايـراني في العـراق ايضـا. مـن خـلال الاسـتمرار في دعـم مؤسسـات الدولـة الغـير الديمقراطيـة حيـث تهيمـن عليهـا المليشـات الموالية لهـا والتـي وصلـت عددهـا لاكـثر مـن 37 منظمـة وان اجـمالي قواتهـا اكـثر مـن 100 ألـف مسـلح وهـي ذات ولاءات عديـدة وغـير منضبطـة وتخضـع معضمهـا لمكتـب ولي الفقيـه او الحـرس الثـوري و فيلـق قـدس مبـاشرة.[51] وهـذا يتعـارض مـع سياسـة الولايـات المتحـدة الامريكيـة المسـاندة لحكومـة العبـادي والجيـش العراقـي وتمكـين العبـادي لبنـاء حكـم ديمقراطـي مـدني تدعمـه المؤسسـة العسـكرية والغـاء مؤسسـة الحشـد او ضمهـا في المؤسسـة العسـكرية العراقيـة في مرحلـة مـا بعـد داعـش. كـما تسـعى الولايـات المتحـدة الى تمكـين العبـادي مـن الغـاء التهميـش الـذي تعـاني منـه السـنة مـن خـلال اعطـاء القـدر الكبـير مـن اللامركزيـة للمحافظـات في ادارة شـؤونها وتشـجيع نظـام الاقاليـم في العـراق الـذي ينـص عليـه الدسـتور العراقـي والـذي سـيضمن المشـاركة السياسـية المنشـودة في ادارة العـراق لعـرب السـنة وتأسـيس قـوة للسـنة باسـم الحـرس الوطنـي وتحسـين العلاقـات مـع اقليـم كوردسـتان . حتـى الان تعـارض القـوى الموالـية لايـران كل هـذه السياسـات، وحيـدر العبـادي مشـلول الارداة ازاء هـذه السياسـات.[52]

باختصـار، ان سياسـة ايـران في العـراق ، كـما يقـول مايـكل نايتـس، الباحـث في مؤسسـة واشـنطن للدراسـات الامنيـة والعسـكرية : « هـو «لبننـة» العـراق وتحويـل العـراق الى حـزب اللـه الكبـير في الـشرق الاوسـط . علـما ان العـراق تملـك ثـروة نفطيـة وكثافـة سـكانية اكـبر مـن ذلـك الموجـود في لبنـان وستسـاعد ايـران في تنفيـذ الاجنـدات الايرانيـة في منطقـة الـشرق الاوسـط وسـتتحول قريبـا المليشـيات العراقية الى القـوة العسـكرية الضاربـة والاقـوى في العـراق. ومـن المؤسـف ان سياسـة اوبامـا

(51) - Iran›s Role in Iraq: Room for Cooperation? - RAND Corporation
www.rand.org/content/dam/rand/pubs/.../RAND_PE151.pdf

(52) - The regional impact of U.S. policy toward Iraq and Syria | Brookings ...
https://www.brookings.edu/.../the-regional-impact-of-u-s-po...

الغير حكيمة بالنأي من الشرق الاوسط تمكن ايران من تنفيذ اجندتها في العراق. وان قواتنا المسلحة وخاصة القوة الجوية الامريكية تساعد المليشيات الموالية لايران في العراق لتنفيذ هذه الاجندة الايرانية».[53]

واستنادا الى ما ورد من تصريحات من المسؤليين الشيعة في الحكومة المركزية بصدد دور الكورد في معركة موصل ان مرحلة ما بعد طرد داعش من موصل ستشهد صراعا بين الكورد والحكومة المركزية حول العديد من المسائل التي ارتأت الطرفين الى تأجيلها بسبب التهديد الذي يشكله داعش للطرفين. ولكن يصر الجانب الحكومي في بغداد على اعادة النظام الاداري المهيمن عليها من قبل الشيعة (سياسة مالكي في الموصل) في مرحلة قبل دخول داعش للمدينة. وهذا ما لاترضى بها لا الاطراف السنية العربية ممثلة بمجلس ادارة المحافظة في الموصل ولا حكومة اقليم كوردستان .[54] وقد حذر ديفيد بتراويس ،الذي كان ضابط استخباراتي امريكي متنفذ في موصل لفترة بعد الغزو الامريكي للعراق ، من اعادة سياسة مالكي في المحافظة والتي ستؤدي حسب رأيه الى استمرار الاوضاع وتقوية التطرف السني. وأوصى بنوع من الادارة اللامركزية التي تمكن كل المكونات العرقية والدينية بنوع من الادارة الذاتية.[55] ويطالب بعض من قادة السنة العرب في كتلة المتحدون بتحويل موصل الى اقليم مع قدر من اللامركزية لوحداتها الادارية. وتطالب حكومة اقليم كوردستان بالحاق الوحدات الكوردية ضمن المحافظة الى اقليم كوردستان . وكما تطالب بتحويل سهل نينوى وسنجار الى محافظة خاصة لضمان الحقوق الدينية والقومية للكورد الازديين و الكورد الشبك و المسيحيين و الكلدان.[56] ومن ثم تلحق هذه المحافظة باقليم كوردستان . وتعارض الحكومة المركزية هذا المطلب

(53) - Iranian Influence in Iraq: Between Balancing and Hezbollahzation ...
www.washingtoninstitute.org/.../iraq-and-iranian-influence-...
(54) - Mosul After the Islamic State: The Kurdistan Region›s Strategy ...
carnegieendowment.org/ .../mosul-after-islamic-state-kurdista ...
(55) - US ex-spy chief urges US influence in running Mosul in ...
https://article.wn.com/.../US_exspy_chief_urges_US_inf...

الكـوردي. وقـد صرح اكـثر مـن مسـوؤل شـيعي في بغـداد بـأن هـذا المطلـب هـو» اسـتفزازي مـن قبـل مسـعود البـارزاني» ، ولا تمثـل رأي هـذه الاقليـات . وقامـت المنظـمات الشـيعية بدورهـا بتأسـيس وحـدات للحشـد مـن بـين تركـمان الشـيعة في الموصـل والشـبك والازيديـة والمسـيحية لاسـتخدامها ضـد قـوات البيشـمركة بعـد معركـة الموصـل.[57]

وهنـاك الكثـير مـن مناطـق الخـلاف بـين الحشـد الشـعبي وقـوات البشـمركة في محافظـة صـلاح الديـن وكركـوك التـي سـتنفجر بعـد معركـة الموصـل. مـن الجديـر بالذكـر تسـلح الحكومـة المركزيـة و وحـدات مـن الحشـد مـن الشـيعة التركـمان للهجـوم عـلى بعـض المناطـق المتنـازع عليهـا في كركـوك وصـلاح الديـن. وتشـكل مدينـة كركـوك وطوزخورماتـو وسـنجار النقـاط المهمـة التـي مـن الممكـن ان يتحـرك منهـا الحشـد ضـد الكـورد. حيـث صرح العديـد مـن المسـؤلين الشـيعة بانهـم لـن يسـكتوا عـلى مـا يعتبرونـه الاحتـلال الغـير الشرعـي للمناطـق المتنازعـة عليهـا. يكفـي ان نذكـر هنـا قـد صرح العبـادي في 17 مـن اب مـن انـه عـلى البيشـمركة الانسـحاب مـن جميـع هـذه المناطـق التـي حررتهـا البيشـمركة منـذ عـام اثنـاء الـصراع ضـد داعـش ، وقـال كاظـم المعينـي الناطـق باسـم قـوات بـدر ، مثـلا، « لـن نسـكت عـلى كركـوك ابـدا».[58]

وكـما سـتقوم ايـران في ظـل الانفتـاح القـادم مـن حكومـة يلـدرم بـن عـلي في تركيـا تجـاه ايـران وبغـداد باسـتغلال هـذا الانفتـاح للضغـط عـلى انقـرة في كبـح جـماح الكـورد للاسـتقلال السـياسي وخاصـة مسـألة الاسـتفتاء والاسـتغناء الاقتصـادي مـن بغـداد. علـما ينـوي الرئيـس اردوغـان بزيـارة كبـيرة مرتقبـة الى كل مـن بغـداد وطهـران قريبـا. ومـن المتوقـع ان تغـري بغـداد انقـرة بمحفـزات اقتصاديـة وذالـك مـن خـلال اعطـاء سـهم للـشركات التركيـة في عمليـات التنميـة في الاسـتثمار في

(56) - Mosul minorities call for independent administration post-ISIS - Rudaw
rudaw.net/english/middleeast/iraq/210720162

(57) - بغداد تردّ على «شروط» أربيل قبل معركة الموصل: البيشمركة قوة إرهابية إذا ...
www.al-akhbar.com/node/261972

(58) - www.nrttv.com/AR/Detail.aspx?Jimare=27067

مجال استخراج وتصدير النفط العراقي ومشاريع الاعمار في العراق في مرحلة ما بعد داعش. وكما ستقوم ايران وبغداد في المستقبل القريب باغراء انقرة بتقديم دعم له في صراعها مع الحزب العمال الكوردستاني PKKوهذه من المحفزات التي تصعب على تركيا مقاومتها.

وضمن خطة تقضي الى اضعاف حكومة اقليم كوردستان واحتوائها تقوم الحكومة المركزية باستغلال الأزمة السياسية الموجودة في اقليم كوردستان . وتتعلق الازمة بالصراع السياسي الموجود بين تحالف حركة التغيير- والاتحاد الوطني من جانب وحزب الديمقراطي الكوردستاني من جانب اخر حول اسلوب ادارة الحكم في اقليم كوردستان. حيث تقوم الاحزاب الشيعية في المركز باستمالة تحالف التغيير-الاتحاد الوطني عبر مجموعة من الاغراءات الاقتصادية. وان هذا التعامل الاحادي من قبل بغداد مع القيادات الكوردية في السليمانية وتفادي مسعود البارزاني ، وحكومة اقليم كوردستان في اربيل ، تجسد مؤخرا في اللقاءات العديدة من هذا النوع وكان اخرها زيارة نوري المالكي الى السليمانية واعطائه مجموعة من الوعود مقابل تحالفهم مع كتلته[59] وتساعد ايران بدوره ايضا الاحزاب الشيعية في بغداد في هذه المحاولة لتفتيت الصف الكوردي من خلال العديد من الوعود الاقتصادية لادارة السليمانية. يبدو ان حكومة بغداد تحاول نسخ تجربة الحكومات العراقية في الستينات من القرن الماضي باحتواء الحركة الكوردية بشق صفها من الداخل. واتصلت الحكومة في بغداد في الاونة الاخيرة بمجموعة من رؤساء العشائر المعادين للبارزاني ومن المرتزقة القدماء في الموصل ومناطق بهدينان. وتم ذلك بطرق سرية وقنوات غير رسمية ويتم توجيه الدعوة لهم للسفر الى بغداد لكسبهم للانضمام الى الحشد الشعبي. واذا كان التاريخ يخدمنا كدليل لفهم الصراع والمواجهة المحتملة بين المركز والكورد ، نستطيع ان نتوقع ان تبدا الحكومة المركزية الصراع مع اقليم كوردستان حول المناطق الكوردية في الموصل . ان

(59) - Baghdad Assists Tehran in Dividing the KRG: Why Nouri al-Maliki ...
www.orsam.org.tr/index.php/Content/Analiz/4733?c=orsam%7Carabic

المواجهة مع بيشمركة الحزب الديمقراطي الكوردستاني سيؤجج الصراع في البيت الكوردي ايضا ويضعف موقف حكومة اقليم كوردستان تجاه بغداد . ولكن الاقدام على الهجوم على قوات اقليم كوردستان في الموصل ، او في اي منطقة تابعة لاقليم كوردستان ، رغم قناعتنا بان الحكومة المركزية ستحاول ذلك كبديل لاضعاف اقليم كوردستان ، امر محفوف بالمخاطر. حيث ان الحكومات الغربية ، خاصة حكومة ولايات المتحدة الامريكية ، اكتسبت مصالح اقتصادية وامنية وسياسية في اقليم كوردستان وسوف لن تسكت على أي تهديد من هذا القبيل من قبل حكومة العبادي. وكما ان من المتوقع ان يؤدي اي مواجهة من هذا القبيل الى لملمة البيت الكوردي وانسحاب الكورد من حكومة بغداد وان تطالب الاطراف الأقليمية ، خاصة تركيا ، من السنة العرب بالاقدام على العمل نفسه. وستفقد الحكومة في بغداد مصداقيتها وتصبح فريسة سهلة للسقوط بيد المتطرفين من الساسة الشيعة من امثال نوري المالكي المتحالف مع ايران.

توصيات الدراسة

في الحقيقة ان وضع الاستراتيجيات والسياسات المستقبلية للحركة الكوردية في هذه المرحلة المحورية من تاريخ الحركة الكوردية امر ليس هين وانها عمل جدير بأن تقوم بها مؤسسات مختصة think tank ولكن قد يخدم نتائج هذا البحث لوضع بعض اللمسات العامة والأولية لاستراتيجية الحركة الكوردية في مرحلة ما بعد داعش والتي نأمل ان يكون موضع نقاش بين الأطراف المعنية لاغنائها.

الوضع في غربي كوردستان أو (كوردستان سوريا)

يبدو ان القوى الكوردية السورية حققت بعض النجاح في مجال تثبيت الحقوق القومية في الجزء الغربي من كوردستان ولم يكن ذلك بيسير على الاطراف

المعنية. فحقق المجلس الوطني الكوردي في سوريا ENKS في المجال السياسي الكثير من المكاسب السياسية، وكان اخر هذه المكاسب هو حصوله على مقعد في مؤتمر جنيف الثانية كممثل للكورد. وكما حققت قوات وحدات الحماية الشعبية YPG التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي PYD الكثير من المكاسب من خلال فرض سيطرتها على مسافة غير قليلة من الشمال السوري المحاذي لتركيا.

وكما استصاع هذا الحزب من بناء صلات وثيقة مع أطراف التحالف الدولي ضد داعش والتي من الممكن الاستفادة منها في فترة ما بعد داعش اذا راع حزب الاتحاد الديمقراطي النقاط التالية في مسيرتها السياسية المقبلة:

أولا، الواقعية في طرح الشعارات وفي التعامل مع القوى المحلية في سوريا والقوى الاقليمية.

ثانيا، اجراء مراجعة جريئة وجذرية لسياستها الحالية في التعامل مع القوى الكوردية والدول الاقليمية والدولية:

ونود هنا ان نشير الى دراسة ميدانية قيمة قام بها معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى والشرق الأوسط ومنشور باللغتين الانجليزية والعربية: والمعنونة ب (مستقبل الكورد بعد داعش في الشرق الاوسط :استدامة كوردستان سوريا والاستراتيجية الإقليمية لـ «حزب العمال الكوردستاني»).

ومن اهم نقاط هذه الدراسة:

إن تأسيس أي كيان سواء كان ادراة ذاتية وكانتونات او كيان فيدرالي في غرب كوردستان او حتى كيان مستقل بحدودها الحالية صعب الاستدامة (الاستمرارية) وذالك لافتقاده على كثافة سكانية صلدة ومتماسكة من الكورد. فيشكل الغير الكورد في كثير من هذه المناطق الواقعة تحت سيطرته اكثر من 70 %. قد يسهل على الاتحاد الديمقراطي اقناع السريان وغيره من الاقليات بالبقاء ضمن كيانه بعد حرب داعش، ولكن يصعب احتواء العرب والتركمان ضمن هذا الكيان.

ومن الغير الممكن لهذا الكيان الديمومة والبقاء لافتقاده على اسس اقتصادية سليمة: فهناك ندرة المياه والصعوبة في تصدير بعض مواد الخام ، خاصة النفط والغاز والمواد الزراعية التي تسيل لها لعاب النظام في دمشق ، ولا تملك الكيان الكوردي اي منافذ دولية غير المنافذ البرية الى تركيا و اقليم كوردستان الجنوبية.

قبل الحرب، تعمّد نظام الأسد الإبقاء على تخلّف المناطق الكوردية، وذلك أساساً كوسيلة لتحفيز الكورد على الهجرة إلى المدن الكبرى حيث يمكن تعريبهم بسهولة أكبر. وبالمثل، جرى التعامل مع منطقة الجزيرة كنوع من «مستوطنة داخلية» مكرسة فقط لإنتاج الحبوب والقطن. واليوم، لاتزال الزراعة هناك تقليدية جداً وتعاني بدرجة كبيرة من ندرة المياه منذ مطلع القرن. فقد أدى الاستهلاك المفرط للمياه على الجانب التركي من الحدود إلى تخفيض الإمدادات في شمال سوريا، ولم يقم نظام الأسد بأي محاولة جادّة لحلّ هذه المشكلة. وخلافاً لوادي الفرات حيث يحصل المزارعون على كميات وافرة و رخيصة من المياه بفضل مشاريع الريّ الحكومية، تعتمد مزارع الجزيرة على مياه الآبار الخاصة. وفي السنوات التي سبقت الحرب، تسبّب الجفاف وارتفاع سعر وقود المضخّات الآلية بثلاثة أضعاف بانخفاض كبير في المساحات المزروعة في الحسكة (انظر المرصد السياسي 2622، «قضايا المياه ذات أهمية حيوية لاستقرار «وادي الفرات» في سوريا»). بالإضافة إلى ذلك، إن تحكّم الكورد بـ (سدّ تشرين) على نهر الفرات قد يوفّر الفرص لتطوير الريّ في غرب كوردستان التي تعاني أيضاً من نقص في الإمدادات. بيد، إن جهوداً كهذه قد تخلق على الأرجح مشاكل مع المزارعين العرب الذين يعيشون في اتّجاه مجرى النهر. وهذا يتطلب ايجاد علاقة جيدة مع اي نظام سيؤسس في دمشق.

كان حزب الاتحاد الديمقراطي يأمل من ربط كانتونات كوباني وعفرين من خلال الممر المار في جرابلس الوصول من هذ الشريط الى البحر الابيض المتوسط. فليس في امكانيات حزب الاتحاد الديمقراطي العسكرية عمل ذلك في ضوء التطورات العسكرية التي وقعت على ارض الواقع بعد عملية «درع

الفـرات» والتـي تمـت بمباركـة غربيـة واقليميـة وحتـى بدعـم خفـي مـن النظـام في دمشـق. فالاجـواء الدوليـة والاقليميـة الحاليـة لاتسـاعد للوصـول الى هـذا المنفـذ الـذي كان حـزب الاتحـاد الديمقراطـي يأمـل تحقيقـه.

اذن ليـس هنـاك امـام أكـراد سـورية خيـارات سياسـية كثـيرة في المسـتقبل المنظـور غـير التعامـل بواقعيـة مرنـة مـع القـوى المحليـة والاقليميـة والدوليـة وتأقلـم مشـاريعها مـع المسـتجدات الجديـدة. وهنـا مـن الممكـن اجـراء بعـض المراجعـات الجريئـة والجذريـة في السياسـة المتبعـة تجـاه القضايـا التاليـة:

1 - سياسة تمتين الصف الوطني

يجـب ان يـدرك الاطـراف المنضويـة في المجلـس الوطنـي الكـوردي في سـوريا الحجـم الحقيقيـي لوجودهـا السـياسي والعسـكري والتعامـل مـع حـزب الاتحـاد الديمقراطي بواقعيـة والنفـس الطويـل لتحويـل مؤسسـات غـربي كوردسـتان الامنيـة والعسـكرية التـي اسسـتها الاتحـاد الديمقراطـي الى مؤسسـات شـاملة للجميـع وديمقراطيـة.

2 -كـما مـن الـضروري جـدا ان ينـأي حـزب الاتحـاد الديمقراطـي بنفسـه عـن حـزب العـمال الكوردسـتاني المصنـف ارهابيـا مـن قبـل المجتمـع الـدولي اذا ارادت ان تسـتمر بعلاقاتهـا مـع الغـرب بعـد حـرب داعـش. فاالساسـة الغربيـون يتعاملـون معـه حاليـا بكونـه حليـف عسـكري ضـد داعـش ليـس اكـثر. وهـذا يقتـضي فـك الارتبـاط الكامـل تنظيميـا وعسـكريا وسياسـيا مـع PKK ولكـن هـذا لا يعنـي اعـلان العـداء بينهـما.

3 - اذا اراد الكيـان الفيـدرالي في غـرب كوردسـتان الديمومـة والبقـاء فـان ذالـك يقتـضي تحسـين العلاقـة مـع اقليـم كوردسـتان وخاصـة مـع الحـزب الديمقراطـي الكوردسـتاني ورئيسـه مسـعود البـارزاني ، حيـث ان المناطـق الواقعـة تحـت سـيطرة الحـزب الديمقراطـي الكوردسـتاني مناطـق متاخمـة لغـرب كوردسـتان. وهـذا يوفـر لغـرب كوردسـتان منافـذ خارجيـة اقتصاديـة وامنيـة وسياسـية لا يمكـن الاسـتغناء عنهـا في المرحلـة القادمـة.

4 -كـما ان لأقليـم غـرب كوردسـتان حاليـا حـدود تقـارب 600 كـم مـع تركيـا وهـذا المنفـذ الخارجـي الوحيـد لـه وان تركيـا دولـة اقليميـة ودوليـة مهمـة وان العـداء

معها لاتخدم تركيا ولا غرب كوردستان، فمن الضروري من الطرفين مراجعة مواقفهما. وهنا يمكن الاستفادة من تجربة العلاقة بين تركيا واقليم كوردستان في العراق . حيث تميزت في البداية بالسلبية ولكن مع الوقت غلبت الواقعية والمصالح المشتركة على الطرفين فاصبحت لتركيا في اقليم كوردستان الكثير من المصالح واصبحت لديها قناعة بان اقليم كوردستان ليس فقط لا يهدد الامن الوطني التركي بل ايضا عامل لتقوية العملية السلمية في تركيا وشريك اقتصادي لايمكن الاستغناء عنه.

وان تطبيع العلاقة مع تركيا يتطلب تقوية العلاقة بين حزب الاتحاد الديمقراطي والاطراف الكوردية المنظوية في المجلس الوطني الكوردي في سوريا. وهنا يمكن ان يلعب الرئيس مسعود البارزاني دورا مهما في تطبيع العلاقة بين حزب الاتحاد الديمقراطي وتركيا.

كما ان تطبيع العلاقة بين حزب الاتحاد الديمقراطي وتركيا مرتبط الى حد غير قليل بأحياء العملية السلمية في تركيا وفي تصورنا ان الوقت المناسب حاليا بأن تعلن PKK من جانب واحد وقف اطلاق النار لتهيئة الاجواء وأن يقوم الرئيس مسعود البارزاني واطراف دولية اخرى بطرح مشروع للسلام. والمثل يقول اذا جاء الرياح العاتية من الافضل ان تنحني وتنكس رأسك حتى لا ينكسر رقبتك. هناك اليوم رياح اقليمية ودولية تعصف بالشرق الاوسط وهي لاتسير بالتأكيد لصالح الكورد ومن الضروري ان يكون التعامل معها بواقعية. وان حزب العدالة والتنمية التركي الحالي لازال الطرف التركي الوحيد الذي يمكن ايجاد حل سياسي معها للمسألة الكوردية في تركيا.

مستقبل الوضع في اقليم كوردستان

يعيش اقليم كوردستان ازمة سياسية خانقة واذا لم يتم معالجة الوضع بالسرعة الممكنة، فان الاوضاع ستتفاقم اكثر وقد يستغلها الخصوم المحليين والاقليميين هذه الازمة المتفاقمة لصالحها.

مـن خـلال دراسـتنا تبـين لنـا أن الـصراع الحتمـي والقـادم في مرحلـة مابعـد داعـش سـينطلق بعـد حـرب موصـل مبـاشرة وان هنـاك اكـثر مـن سـبب بـأن يتخـذ الـصراع المسـتقبلي مـع الحكومـة المركزيـة في بغـداد طابعـا عسـكريا في اكـثر مـن نقطـة تمـاس بـين القـوات العراقيـة والبيشـمركة، خاصـة بـين فصائـل الحشـد الشـعبي غـير المنضبطـة والمشـبعة بالايدلوجويـة الشـمولية والتعبويـة المعاديـة للكـورد. كـما بـات الكـورد بعـد هزيمـة داعـش والتشـتيت الحاصـل في البيـت السـني العراقـي، القـوة الرئيسـية في مواجهـة فـرض الهيمنـة الايرانيـة الكاملـة عـلى العـراق. هنـاك الكثـير مـن البـوادر تشـير إلى عـدم جديـة وحتـى قـدرة حكومـة العبـادي في حـل الازمـات العالقـة مـع اقليـم كوردسـتان. وقـد تلجـأ الحكومـة تحـت تاثـير المتشـددين في كتلـة دولـة القانـون لبـدء سياسـية المواجهـة بـدلا مـن حـل المشـاكل العالقـة بـين الطرفـين. وعـلى الاكـثر ان الصـدام المسـلح سـيفرض نفسـه بـين حكومـة اقليـم كوردسـتان والقـوات العراقيـة وسـيكون ذلـك رغـم ارادة العبـادي والتحالـف الدولي ضـد داعـش، وبتحريـك القـوى الموالية لايـران.

رغـم اقرارنـا بأحقيـة ومشروعيـة قضيـة الاسـتفتاء في كوردسـتان، نـرى ان التحالفـات الاقليميـة الجديـدة لاتسـير لصالـح الاسـتفتاء، وان مـن الافضـل ان يؤجـل هـذا الموضـوع حاليـا، حتـى لا تسـتفز الـدول الاقليميـة وتدفعهـم الى عمـل عـدائي ضـد اقليـم كوردسـتان. ويمكـن طـرح الاسـتفتاء في المسـتقبل اذا توافـرت الظـروف المؤاتيـة لهـا وفي الحـالات التاليـة:

1 -انهـاء الازمـة السياسـية الحاليـة التـي سـببت تعطيـل البرلمـان وذلـك مـن خـلال طـرح مبـادرة وطنيـة جريئـة مـن قبـل كاك مسـعود البـارزاني لانهـاء الخلافـات مـع تحالـف التغيـير- الاتحـاد الوطنـي. أو يطلـب مـن قـادة الاحـزاب والشـخصيات الكورديـة طـرح مبـادرات لانهـاء الازمـة الحاليـة، لأن كوردسـتان مقبلـة عـلى تطـورات مصيريـة وبحاجـة الى جبهـة داخليـة متماسـكة. وفي تصورنـا رغـم وحشـية وشراسـة داعـش كان خصـما اسـهل مـن الخصـم القـادم: قـوات الحكومـة المركزيـة والحشـد الشـعبي التـي لايقـل شراسـة مـن داعـش و يحظـى بدعـم السـلطة المركزيـة وتتحجـج بالشرعيـة والقانـون والوطنيـين وبمسـاندة قـوة جويـة واسـناد

مدفعي ودعم دولة اقليمية مثل ايران. يملك اقليم كوردستان اليوم دعما من الشرعية الدولية ضد داعش ولكن من الصعوبة جدا تحقيق هذا الدعم ضد السلطة المركزية. وسينظر الكثير من حلفاء اقليم كوردستان اليوم الى اي مواجهة له مع بغداد باعتباره مسألة داخلية عراقية. وكما اشرنا اليه اعلاه ستسعى ايران والقوى الموالية لها في بغداد باستغلال الازمة الحالية باحداث شرخ في الصف الكوردي قبل او اثناء المواجهة القادمة مع بغداد.

2 - انفجار الاوضاع في العراق اما في اثناء حدوث مواجهات بين الفصائل الشيعية المسلحة وسقوط الحكومة في بغداد. او في حالة حدوث تدهور امني كبير واستفحال امر السلطة المركزية ودخولها حرب طائفية اكبر مما تجري الان. وكانت الفترة 2014-2016 فترة مؤاتية لاعلان الاستقلال او اجراء الاستفتاء ولكن فات تلك الفرصة من يد الكورد تلك. اذن على الكورد التريث في عدم طرح الاستفتاء في الوقت الحاضر وانتظار الوقت المناسب.

3 -انتظار نتائج الانتخابات الامريكية والتريث لما ستطرحه الحكومة القادمة في واشنطن من سياسات تجاه المسألة الكوردية و العراق.

4 - بعد حل الازمة السياسية في اقليم كوردستان وانتظار لما ستؤول اليه الاحداث في فترة ما بعد داعش في بغداد يقوم اقليم كوردستان اولا باقامة الاستفتاء ومن ثم يقوم بارسال وفود الى الدول الاقليمية والقوى الكبرى لشرح نتائج الاستفتاء والاسباب التي تحدو بهم الى طلب الاستقلال من العراق. ومن ثم تقوم سلطات اقليم كوردستان بالتفاوض مع بغداد حول الية الانفصال السلمي. فرغم ان الاطراف الشيعية تعد كوردستان العقبة الرئيسية في مسعاهم لتأسيس كيان يأتمر بأمر ولي الفقيه والهيمنة الايرانية الكاملة على العراق، إلا أنهم سيحاربون الكورد شبرا بشبر للحصول على معظم المناطق الكوردية المتنازعة عليها، خاصة أقضية صلاح الدين وكركوك المركز واقضيتها التركمانية والعربية. وسيلجئون إلى تسليح قسم من السنة العرب والشيعة التركمان لهذا الغرض. ان دراسة متأنية لكيفية تعامل الفصائل الشيعية مع السنة العرب وقياداتهم وفصائلهم المختلفة تبين بكل وضوح بانهم يتعاملون

مـع الخصـوم بمنتهـى الواقعيـة ويعلمـون بـأن العـراق الديمقراطـي الوطني الشـامل لـكل الاطيـاف والمذاهـب غـير موجـود عـلى أرض الواقـع. لذالـك في حروبهـم مـع الخصـوم مـن السـنة والكـورد يعرفـون انهـم يرسـمون حـدود دولتهـم بالـدم.

5 -قـد تتمخـض نتائـج الانفتـاح الـتركي تجـاه ايـران وبغـداد بعـد معركـة الموصـل باتفاقيـات اقليميـة التـي قـد تؤثـر سـلبا عـلى علاقـات تركيـا مـع اقليـم كوردسـتان. لذلـك فاقليـم كوردسـتان مطالـب بأخـذ المبـادرات التـي تعطيـه اهميـة اضافيـة عنـد الحكومـة التركيـة مثـل مبـادرة تجـاه التركـمان في كركـوك واعطائهـم مكاسـب في ادارة كركـوك. وكـما اسـلفنا الاشـارة اليـه المسـاهمة في احيـاء العملية السـلمية في تركيـا واعطـاء الـشركات التركيـة امتيـازات اقتصاديـة تضاهـي مـا سـتقدمه لهـم بغـداد.

باختصـار، سـتكون مرحلـة مـا بعـد معركـة الرقـة والموصـل مرحلـة مفصليـة وصعبة للحركـة الكورديـة وبإمـكان الكـورد الاحتفـاظ ببعـض المكاسـب التـي حققوهـا بـشرط أن يتعاملـوا مـع المسـتجدات الجديـدة بواقعيـة وتمتـين وحـدة الصـف والاقتصـاد فيـما يطرحـون مـن أهـداف قوميـة.

رغـم انهيـار العمليـة السـلمية في تركيـا يجـب النظـر بجديـة في خلـق فـرص لاحيائهـا مـن جديـد. إن العلاقـات الايجابيـة مـع تركيـا في وجـود حـزب العدالـة والتنميـة في الحكـم سـتفيد الكـورد في غـرب كوردسـتان واقليـم كوردسـتان وتركيـا. وإن هـذا التحالـف هـو خـير ضـمان للوقـوف بوجـه نزعـة جامحـة عنـد ايـران للهيمنـة والتوسـع ونـشر عقيدتـه الشـمولية قـي الـشرق الاوسـط والتـي في تصورنـا هـو الوجـه الاخـر للداعشـية.

شهادة

الرقة وحلم التحرير

فرحان المطر

كاتب و صحفي سوري (من الرقة) مقيم في فرنسا.

مدخل

إنها لمفارقة حادة تلك التي تعيشها الرقة اليوم في ظل سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية المعروفة باسم داعش على مقدرات الحياة فيها، ومحاولتها تقديم نموذج للحياة وفق مقاييسها، لا يشبه حتى ما كان سائداً في ظل أية سلطة سياسية منغلقة متزمتة بحجة الإسلام، أو غيره، حياة تكاد تعود بالإنسان إلى عصور انقرضت ولم يعد لها من وجود سوى في كتب التاريخ، وهو ما يغاير حقيقة، وطبيعة الحياة التي كان يعيشها، ويعرفها أهل الرقة.

في الرقة اليوم يحاولون صناعة الحقد والكراهية في نفوس الناس من خلال القتل اليومي الذي تشهده ساحاتها العامة، حتى أصبح منظر الرؤوس المقطوعة المعلقة على الأعمدة أمراً مألوفاً، ووصل الأمر بسلطات الأمر الواقع أيضاً إلى إقامة حفلات الإعدام في وضح النهار ضمن طقوس سادية غير مسبوقة في وحشيتها، ذبحوا العلويين لمجرد كونهم علويين، وطالبوا الكورد في المدينة المغادرة فوراً لمجرد كونهم كورد، وكانت التهم جاهزة ضد الجميع دائماً، وفي كل مرة نرى ونسمع تهمة جديدة، وطريقة جديدة، وأسهل التهم هي الردة، والتعاون مع الجيش الحر، والتحالف، والكورد .

أرغمـوا النـاس عـلى مغـادرة المدينـة في البدايـة بعـد سلسـلة الإعدامـات، والاعتقـالات العشـوائية، وصـادروا بيـوت النـاس الهاربـين مـن المـوت، ثـم بـدأوا بقطـع كل أشـكال الحيـاة، والتواصـل بـين أهـل الرقـة والعـالم الخارجـي، فـكل شيء أصبـح تحـت المراقبـة الدائمـة إلى درجـة تفوقـت في قمعهـا، وهمجيتهـا عـلى مـا كان سـائداً أيـام نظـام البعـث والأسـد في الرقـة، فصـالات النـت أغلقـت، عـدا عـدد قليـل خاضـع لسـيطرتهم، حيـث يقومـون بتفتيـش الهواتـف الفرديـة، ومعرفـة الأرقـام وأصحابهـا، والكشـف عـن الرسـائل، والويـل لمـن يجـدون لديـه شـيئاً مغايـراً لتعاليمهـم الهمجيـة في أي شيء.

صـادروا أجهـزة التلفزيـون مـن البيـوت، وحطموهـا، وأحرقوهـا في السـاحات، وأرسـلوا دوريـات الحسـبة (جهـاز الشرطـة لـدى تنظيـم الدولـة الإسـلامية) إلى البيـوت للتفتيـش عنهـا، فالدوريـات تجـوب المدينـة ليـل نهـار، وهنـاك كتيبـة نسـائية لجهـاز الحسـبة تدعـى (الخنسـاء) تتـولى ملاحقـة النسـاء وتطبيـق «القوانين الإسـلامية» عليهـن، عـدا عـن كل مـا يقـوم بـه (الأمنيـون) وهـم جهـاز الأمـن التابـع لتنظيـم الدولـة الإسـلامية ، بأسـاليبهم التـي لاتختلـف عـن أسـاليب المخابـرات السـورية المعروفـة، في الاعتقـال، والتحقيـق وانتـزاع الاعترافـات، ومـن ثـم إخضـاع الشـخص المعتقـل للعقوبـات التـي تـتراوح حسـب شـدتها مـن وجهـة نظرهـم بـ (الجلـد) في السـاحات العامـة، يتبعهـا مـا يعـرف بـ (الاسـتتابة)، و(الـدورة الشرعية) التـي يجـبر فيهـا الشـخص عـلى حفـظ عـدد مـن الآيـات القرآنيـة، والأحاديـث النبويـة، والاسـتماع إليـه وهـو الأمـر الـذي عـلى أساسـه يقـرّر إمـا أن يتـم الإفـراج عنـه، أو يتـم تمديـد العقوبـة لـه.

هـذا في الأحـوال البسـيطة مثـل (مخالفـة التدخـين)، أو (اللبـاس المخالـف للشريعـة الإسـلامية) كـما يرونهـا هـم، أو عـدم إطـلاق اللحيـة بمـا يتطابـق مـع مواصفاتهـم حيـث يجـب أن يكـون الحـد الأدنى المقبـول عندهـم هـو (حجـم قبضـة اليـد)، أو مخالفـة المـرأة التـي تسـير في الشـارع وحيـدة دون وجـود (رجـل محـرم) يرافقهـا.

أمـا القضايـا الأخـرى ذات (الطابـع الأمنـي) كأن يعـثروا عـلى شيء يـدل عـلى علاقـة الإنسـان بإحـدى الجهـات المعاديـة، مثـل الجيـش الحـر، أو الناشـطين المدنيـين، أو

أنه صاحب تفكير معادٍ حسب وصفهم، وهنا يقصد أصحاب التوجه العلماني، فهؤلاء مصيرهم القتل، أو الاختفاء وعلى أهلهم أن ينسوا تماماً أمر وجودهم، أو رجوعهم يوماً من الأيام.

أغلقت المدارس ومنع التعليم، وتم احتلال الكنائس ومصادرتها، ومنعت كثير من المهن، وقطعت أرزاق الكثير من الناس لهذا السبب، وذاك.

تم تطبيق الخدمة الإلزامية على الشباب القادرين على حمل السلاح في صفوف تنظيم الدولة الإسلامية بالقوة، كما مورست عمليات غسل الدماغ، باستخدام البروباغندا الإعلامية التي يقومون بها بطرق شديدة التأثير لدى الشباب، الذي وجد نفسه ضائعاً في وجه هذه التغيرات العاصفة التي حدثت بسرعة كبيرة جداً دون أن يستطيعوا فهمها وتحليلها.

أصبح أمراً مألوفاً أن تتم عمليات الوشاية من قبل الأبناء بالآباء وتنفيذ أحكام الإعدام بحقهم بحجة الردة، وشتم الذات الإلهية، أو محاولة الآباء إقناع أبنائهم بالهروب من صفوف جيشهم.

أصبح منظر رجم المرأة في الساحات العامة شبه يومي بحجة الزنا، وهم الذين أباحوا لعناصر تنظيمهم الإجرامي شراء البنات بحجة الزواج، تحت الضغط والإكراه، أو الإغراء بالمبالغ المالية الكبيرة مستغلين حاجة الناس للقمة العيش بعد الظروف القاهرة التي وصلت إليها الحياة في الرقة على أيديهم.

الرقة اليوم تعيش تحت سطوة الموت القادم من السماء في الغارات الجوية شبه اليومية التي يتناوب عليها كل من طائرات النظام السوري، والطائرات الروسية المتحالفة معه، وطائرات التحالف الدولي، وكل ذلك بحجة مكافحة الإرهاب وداعش، على سبيل المثال وليس الحصر:

قامت طائرات النظام السوري يوم الثلاثاء 26.11.2014 بتنفيذ 8 غارات على المدينة في مناطق مختلفة، أوقعت أكثر من 150 شخص بين قتيل وجريح، أغلبيتهم الكبيرة من المدنيين.

مع أن الحقيقة التي يعرفها أهل الرقة جميعاً هي أن الضحايا لهذه الغارات الجوية هم المواطنون المدنيون العزل الذين لاحول لهم ولا قوة، بينما مقرات

(تنظيم الدولة الإسلامية) العلنية، والمعروفة للجميع حتى دون الاستعانة بالأقمار الصناعية تبقى بعيدة عن الاستهداف، وهو ما يطرح العديد من التساؤلات الجدية حول المغزى من هذا الموت الانتقائي لأهل الرقة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن (تنظيم الدولة الإسلامية) يقوم أحيانا بالاحتماء بالمدنيين واستعمالهم كدروع بشرية.

يأتي هذا في نفس الوقت الذي يعاني فيه أهل الرقة من الموت على الأرض بأيدي مسلحي تنظيم الدولة الإسلامية لأتفه الأسباب.

السؤال الذي يبدو مشروعاً هنا:

لماذا كل هذه الغارات التي تقوم بها طائرات النظام السوري على الرقة؟!.

يرى الخبير العسكري الاستراتيجي اللواء فايز الدويري سببين اثنين لا ثالث لهما يفسران هذا الاستهداف للرقة.

الأول: «لأن مدينة الرقة عاصمة دولة الخلافة، فإن مهاجمتها من قبل قوات النظام تمنحه حسب اعتقاده، شهادة حسن سلوك من قبل دول التحالف، مما يؤهله للحاق بها باعتباره قوة فاعلة في محاربة تنظيم الدولة يمكن الاعتماد عليه».

الثاني: «التركيز على الرقة يمثل محاولة من النظام لمعالجة بعض حالات التذمر التي بدأت تظهر وتنتشر في قاعدته الاجتماعية المؤيدة بسبب الخسائر الكبيرة التي تكبدتها خلال السنوات الماضية».

(موقع: الجزيرة – نت). 30.11.2014 اللواء فايز الدويري: غارات الرقة مغازلة للتحالف أم تحول في أولويات الحرب؟!.

الحصيلة أن الناس هناك صاروا بحكم الرهائن، باعتبار أن الخروج من المدينة ممنوع، حتى أصبحت تجارة تهريب البشر من الرقة تجارة رائجة، تصل كلفة خروج الشخص الواحد أحياناً إلى ما يعادل الألف دولار أمريكي، فقط كي يقطع مسافة أقل من مائة كيلومتر هي الكافية لإيصاله إلى الأراضي التركية، بينما كل العالم يبدو أنه غير معنيّ بأمر حياتهم وكأنهم لا ينتمون أساساً إلى بني البشر.

الرقة في ظل البعث

لم تكن الرقة يوماً بالنسبة لنظام البعث، وحكم حافظ الأسد، ووريثه بشار الاسد أكثر من خزان بشري تم استهلاكه بأقصى قدر من الاستفادة، سواء من خلال التجنيد في الجيش، أو كمجاميع بشرية يتم جلبها في المناسبات الخاصة بالبعث، وما يعرف بالحركة التصحيحية حين يقومون بأخذهم بالسيارات الشاحنة، والباصات العامة للمشاركة في المسيرات، والمهرجانات الخطابية المخصصة للدعاية لهؤلاء بحيث يظهر أبناء الرقة، وكأنهم من غلاة المدافعين عن النظام، وهي ذات النظرة التي أراد بشار الأسد ترسيخها عن أهل هذه المدينة حين قام بزيارتها لأول مرة وأدىّ صلاة العيد في أحد جوامعها بتاريخ 2016/11/6 ،غير أن هذه الزيارة وعلى الرغم من كل الإجراءات الأمنية لحماية بشار الاسد فيها لم تنجح بإخفاء أصوات الشباب الذين هتفوا بسقوط بشار الاسد والتي أظهرها البث المباشر لتلك الزيارة على شاشة التلفزيون السوري نفسه.

الرقة المدينة التي عانت الحرمان والتهميش على يد البعث والأسد بحيث أن أحداً من أبنائها لم يصل إلى رتبة عالية في الجيش أو الشرطة، ولم يصل إلى مرتبة وزير أيضاً، وهي أمور لم تكن بمحض المصادفة، لأنها نتاج سياسة الإقصاء والتهميش المتعمد بحق هذه المدينة وأهلها.

حتى الوظائف العادية داخل المحافظة لم تكن من نصيب أبنائها بالدرجة الأولى، وكانت الأثمان باهظة للحصول على الوظائف الحكومية، من خلال الرشاوي والعلاقات المشبوهة مع الأجهزة الأمنية، حتى أن الوصول إلى عضوية ما يعرف بمجلس الشعب السوري لم يكن يمر دون مثل تلك الارتباطات المشبوهة ودفع الثمن المادي المناسب.

دائماً كان ينظر للرقة من قبل تلك السلطات ذات النظرة التي تشعرهم بالدونية، إضافة إلى الحرمان والتهميش والإقصاء، وطبعاً دفع الكثير من أبناء هذه المحافظة سنوات طويلة من أعمارهم في سجون النظام السوري بحجة الانتماء لبعث العراق، وهي التهمة الجاهزة لأهل المدينة، كما تهمة الأخوان المسلمين.

أورد فيما يلي بعض الأسماء من أبناء الرقة الذين قضوا فترات طويلة في سجون الأسد الأب تراوحت بين التسعة أعوام والستة عشر عاماً، وذلك على سبيل المثال أيضاً وليس الحصر.

اسم المعتقل	الصفة	الحزب	ملاحظات
د. أحمد فائز الفواز	طبيب – عضو اللجنة المركزية والمكتب السياسي	مكتب سياسي – رياض الترك	١٧ سنة
ياسين الحاج صالح	طبيب كاتب ومترجم	= =	١٦ سنة
مصطفى الحاج صالح		= =	١٠ سنوات
خالد الحاج صالح		= =	٩ سنوات
نبيل الفواز		= =	١٤ سنة
خلف الجربوع		= =	٩ سنوات
هيثم الخوجة		= =	١٠ سنوات وتوفي بالسجن
معبد الحسون			١٢ سنة
راشد الصطوف		رابطة العمل الشيوعي	١٥ سنة
فاضل الفاضل		= =	١٥ سنة
عدنان عليان		بعث العراق	١٤ سنة
عبد الرحمن عليان		= =	١٢ سنة
عقلة العبود	عضو قيادة فرع حزب البعث بالرقة	التهمة بعث عراق	لأنه عارض محمد سلمان محافظ الرقة
خضر العماش	= =	= =	= =
محمد الجدوع	= =	= =	= =

الرقة في الثورة السورية

في الأسبوع الأول من اندلاع الثورة السورية، انطلقت أول مظاهرة تطالب بإسقاط النظام في الرقة بتاريخ 2011/3/25، وكان هناك شكل من الحراك الثوري المنظم، غير أن هذا لم تتم تغطيته إعلامياً بما يكفي، أي أن لعنة التهميش التي مارسها النظام تجاه الرقة عبر تاريخه، قد أصابتها مرة أخرى حين شاركت في النشاطات الثورية المناهضة للنظام، وظهرت كأنها مدينة هادئة ومسالمة ومؤيدة للنظام وهو ما اشتغل عليه سابقاً بكل الوسائل.

تعرض أبناء الرقة الذين انخرطوا بالثورة السورية لأشد أنواع التنكيل والقمع على أيدي الأجهزة الأمنية السورية، والميليشيات البعثية التشبيحية الرديفة له، واستخدموا بصورة لافتة للنظر أبناء الريف لقمع المظاهرات المضادة للنظام، بعد أن اتهموا المتظاهرين بالخيانة والعمالة كما في كل المدن السورية.

تأخرت الرقة كثيراً عن باقي المدن السورية التي شهدت التحول نحو العسكرة، حتى أن المجموعات القليلة التي ظهرت وهي تحمل السلاح وتعلن مقاومتها للنظام لم يكن ينظر لها بعين الجدية من قبل أهل الرقة أنفسهم، كانت مجموعات قليلة العدد، عديمة الخبرة، لا تملك أية إمكانيات مادية لدعمها، وبالتالي لم يكن هناك من يعوّل على وجودها أي دور حاسم، الأمر الذي أثار الكثير من علامات الدهشة والاستغراب حين قامت تلك المجموعات الصغيرة قليلة العدة والعتاد والخبرة بإحراز النجاحات العسكرية بعد أن استطاعت السيطرة على مدينة تل أبيض الحدودية أولاً، ثم انتزاع السيطرة على مدينة الطبقة ذات الثقل الاقتصادي الكبير بوجود سد الفرات، حتى وصل الأمر إلى محاولة التقدم عسكرياً باتجاه مركز مدينة الرقة.

كان الأمر أقرب ما يكون إلى العبث إذا نظر إليه بشكل واقعي حسب المعطيات المادية على الأرض.

ثم جاءت معركة ما يعرف بتحرير الرقة التي بدأت في 2013/3/2 وانتهت يوم 2013/3/4 ، حيث لم يكن أشد المتفائلين يتصور مثل هكذا نتيجة.

أيـن تبخـرت قـوات النظـام العسـكرية بهـذه السرعـة؟!. وكيـف اسـتطاعت تلـك المجموعـات العسـكرية التـي تشـبه في تشـكيلاتها أعـمال الهـواة أن تعلـن تحريرهـا للرقـة في ذلـك اليـوم بعـد عـدة معـارك في بعـض النقـاط؟!. وتسـيطر عـلى مقـر المحافظـة، وقـصر المحافـظ، وتقـوم باعتقـال المحافـظ مـع أمـين فـرع حـزب البعـث دون أيـة مقاومـة تذكـر؟!. عـلى الأقـل إذا أخذنـا بعـين الاعتبـار أن القـوة العسـكرية للنظـام في المدينـة لا يسـتهان بهـا إذا نظرنـا إلى الفرقـة 17 عـلى أطـراف المدينـة، ومطـار الطبقـة العسـكري القريـب أيضـاً، والهجانـة، والشرطـة، ومجمـوع الفـروع الأمنيـة، إضافـة إلى الميليشـيات البعثيـة كبـيرة العـدد في الريـف والمدينـة.

وقائع اليوم الأول لبدء المعركة سارت على النحو التالي

السـاعة الخامسـة صباحـاً يـوم 2013/3/2 بـدأت الاشـتباكات العنيفـة في الطـرف الشـمالي الغـربي مـن المدينـة عنـد كتيبـة الهجانـة، وحاجـز الفروسـية، ومبـاني الضبـاط.

تألفـت القـوة العسـكرية المهاجمـة مـن: (حركـة أحـرار الشـام) و (لـواء أمنـاء الرقـة)، حيـث أطلقـت حركـة أحـرار الشـام عـلى هـذه المعركـة تسـمية: «غـارة الجبـار».

القـوى العسـكرية المـؤازرة الأخـرى تألفـت مـن: (كتائـب حذيفـة بـن اليـمان) و (جبهـة النـصرة) و (جبهـة الوحـدة والتحريـر) و (لـواء ثـوار الرقـة).

السـاعة الواحـدة ظهـراً تمـت السـيطرة عـلى: الهجانـة ، مبـاني الضبـاط ، حاجـز الفروسـية وصـولاً إلى صوامـع الحبـوب، وهـي الخـط الفاصـل بـين الفرقـة 17 ومدينـة الرقـة.

في هذه الساعة لم يعد هناك وجود لقوات النظام داخل شوارع المدينة.

أول مـن دخـل قـصر المحافـظ هـم كتائـب حذيفـة بـن اليـمان، ثـم تبعتهـم جبهـة النـصرة التـي قامـت باعتقـال المحافـظ، وأمـين فـرع حـزب البعـث، ثـم تلاهـم لـواء الوحـدة والتحريـر الـذي يقـوده الدكتـور سـامر المطـيران، والدكتـور عدنان العرسـان.

بعد يومين سقطت آخر قوة عسكرية للنظام ممثلة بمفرزة الأمن العسكري، حيث تم تحرير المعتقلين فيها.

بتصرف من مدونة نشرت على موقع الجزيرة نت بتاريخ 2016/9/1 للطبيب والناشط الإعلامي من الرقة عبيدة المشرف بعنوان: (عيون الليل وتراب هذه الأرض).

ونقلاً عن شاهد عيان أتحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية.

بهذا السيناريو تم الإعلان عن تحرير الرقة.

عاش أهل الرقة وهم التحرير والانتصار، وفرحوا برؤية علم الثورة السورية يرفرف في كل الشوارع والساحات العامة للمدينة، وأطلقوا عليها لقب: الرقة عاصمة التحرير، كونها أول محافظة سورية تخرج بالكامل من تحت سيطرة النظام، مع ملاحظة بقاء وجود الفرقة السابعة عشرة للنظام في مواقعها المحاصرة، ومطار الطبقة العسكري يقوم بالغارات الجوية اليومية على المدينة.

قامت التشكيلات العسكرية الإسلامية المسلحة التي سيطرت على المدينة أولاً بأعمال النهب بصورة سريعة ومنظمة حين بدأ أحرار الشام أولاً بإفراغ البنوك السورية العامة والخاصة في المدينة أمام مرأى الجميع، وقامت باقي الفصائل بسرقة كل ممتلكات الدوائر العامة من آليات بأنواعها، وتجهيزات مختلفة، لم يوفروا شيئاً ذا قيمة مادية دون أن يعتبروه غنائم حربية، وظهرت نغمة جديدة في المدينة تعرف بالتكبير، وهي العملية التي يقوم بها المسلحون بالاستيلاء على أي شيء بيت أو سيارة وما شابه.

يجب التفريق هنا بين نوعين من الاستيلاء على الممتلكات العامة والخاصة التي قام بها المسلحون في الرقة، فالعمليات الكبرى قاموا بها كتنظيمات مثل سرقة البنوك من قبل أحرار الشام على سبيل المثال، أما السرقات الصغيرة كالبيوت والمحلات والسيارات فكان يقوم بها الأفراد المسلحون بصفتهم الفردية وطبعاً بحماية ومباركة تنظيماتهم الأم.

في الحالة الثانية فقط حالة اللصوص الصغار كانت عملية السرقة والاستيلاء القوة تتم تحت تسمية التكبير، وهي لا تتطلب أكثر من أن يقوم المسلح

برفع يده فوق السيارة التي اختارها هدفاً له، أو البيت، أو المحل، ويطلق عليها ثلاث مرات عبارة الله أكبر، فتصبح بنظره، ونظر تنظيمه حلالاً له، والشواهد لا حصر لها يعرفها كل من شهد تلك الأحداث في وقتها.

بهذه الطريقة تمت استباحة المدينة، ولكن دون أن تتم السيطرة الكاملة لفريق واحد دون سواه من الفصائل العسكرية، سواء التشكيلات الصغيرة للجيش الحر، أو أحرار الشام، أو جبهة النصرة، أو ما صار يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام.

حتى هذه المرحلة كانت التيارات المدنية والعلمانية الرقاوية ما تزال تنشط وتنتظر من المعارضة السياسية السورية أن تقوم بالمجيء إلى الرقة وأخذ زمام الأمور وإعلان حكومة مؤقتة فوق أول أرض سورية محررة من سلطة البعث، غير أن هذا لم يحدث أبداً.

بعد ثلاثة أشهر على هذا التاريخ قمت بزيارة الرقة بمهمة صحفية لرصد واقع الحال هناك، حيث أتيح لي رؤية كل شيء كما هو على أرض الواقع، ستة أيام كاملة لم يتوقف فيها طيران الحكومة السورية عن الغارات على المدينة ، وكانت الحياة ما تزال متفائلة وأعلام الثورة ترتفع إلى جانب أعلام القاعدة وتنظيم الدولة الذي لم يكن قد أطلق عليه تسمية داعش بعد، ولكنني رأيت الخطر القادم من هؤلاء الملثمين المسلحين الذين يجوبون شوارع المدينة ويحاولون إرهاب المواطنين.

بدعوة من تيار ربيع الرقة، عقدت بتاريخ يوم الاثنين 2013/6/10 الساعة الثامنة والنصف مساءً ألقيت محاضرة بعنوان: الثورة السورية المسارات والمآلات، وذلك على مدرج ثانوية خديجة الكبرى سابقاً - تجمع أحفاد الرشيد - دوار الساعة.

أكدت في هذه الندوة على أهل المدينة أن يطلبوا من الائتلاف الوطني السوري القدوم إلى الرقة لتشكيل حكومته، وإلا فإن عليهم الخروج إلى الشوارع كي يطالبوا بإسقاطه.

رأيت بأم عيني كيف تتم المبايعات بين التشكيلات العسكرية الصغيرة

الفقيرة، والقوى الأكبر مثل النصرة، وتنظيم الدولة الإسلامية وأحرار الشام، وكانت المبايعات تتم أولاً عن طريق الإغراءات المادية، وإن لم تنجح كانت القوة هي الوسيلة الوحيدة المتبعة في فرض ذلك.

قمت بالعودة سريعاً بعد هذه الصورة المرعبة خوفاً من الاختطاف، ذلك أن رئيس المجلس المحلي لمحافظة الرقة المحامي والناشط المدني المعروف عبد الله الخليل كان قد اختطف قبل شهر دون أن يعرف أحد شيئاً عن مصيره. صدقت توقعاتي وهواجسي الأمنية بعد خروجي حين بدأت حملة الاعتقالات التي تنفذها تلك القوى المسيطرة ضد كل النشطاء المدنيين في المدينة، دون أن تراعي قيمة لأي شخص كان، حين بدأت باختطاف الأب باولو داليلو، وبعده الدكتور إسماعيل الحامض، وفراس الحاج صالح والقائمة تطول، الأمر الذي أدى إلى موجة هروب للنشطاء المدنيين وإفراغ الساحة لهؤلاء الذين وصلوا من كل أنحاء العالم لإقامة الخلافة الإسلامية في الرقة بعد سلسلة كبيرة من المعارك التي شهدتها الرقة بين ما يعرف بأخوة المنهج من جبهة النصرة وأحرار الشام وتنظيم الدولة الإسلامية.

بدأت جبهة النصرة بمجزرة كبرى بقتل أكثر من مائة عنصر من حركة أحرار الشام حتى استطاعت طردها من المدينة ومبايعة من تبقى من عناصرها لصالحها، ثم وصل الأمر ذاته إلى الاصطدام بين النصرة وداعش، حيث انتصرت داعش على النصرة بعد قتل أميرها على طريق مسكنة الرقة، وقام أفراد النصرة بمبايعتها، وهنا سيطرت داعش على كل تفاصيل الحياة بالرقة، ومن أجل تثبيت هيبتها قامت بالعديد من المذابح الجماعية لمواطنين من الرقة. استطاع تنظيم الدولة الإسلامية استثمار الوضع داخل الرقة بالطريقة التي حققت له بسط سيطرته الكاملة، ففي الوقت الذي كان فيه الثوريون الحالمون بالحرية ينشطون في الميادين، كان تنظيم الدولة الإسلامية يراقب، ويعتقل، ويعذب، ويهدد، وفي الوقت الذي انشغلت فيه كتائب الجيش الحر الضعيفة أساساً بحصار الفرقة 17، وبعد الخلافات الحادة بين المجلسين المحليين في الرقة التي أدت الى اتباعها بحملة اعتقالات طالت رئيس المجلس

المحـلي المحسـوب عـلى الائتـلاف المعـارض عبـد اللـه الخليـل ثـم فـراس الحـاج صالـح، وإبراهيـم الغـازي، قـام تنظيـم الدولـة أيضـاً بفـرض الضرائـب والحجـاب، والفصـل بـين الجنسـين في المـدارس تحـت طائلـة إغـلاق المـدارس المخالفـة واتهـام أصحابهـا بالكفـر.

بتاريـخ 2013/10/17 دعـا تنظيـم الدولـة الفعاليـات المدنيـة والشـيوخ الى اجتـماع في مقهـى Négative حـضره 300 شـخص مـن الناشـطين إضافـة إلى ممثـلي الدولـة الإسـلامية، وقـد شـهد هـذا الاجتـماع توتـراً وتحديـاً في طـرح الأسـئلة ضـد تنظيـم الدولـة الإسـلامية ومواجهتهـا بالعديـد مـن الجرائـم التـي ارتكبهـا أفـراد منهـم، وبـرز في هـذه المواجهـة الناشـط حـازم الحسـين الـذي اغتيـل في نفـس الليلـة، ومهنـد حبايبنـا الـذي اغتيـل في سـيارته بعـد يومـين.

بعـد هـذه السلسـلة مـن الأحـداث المتراكمـة، اسـتطاع تنظيـم الدولـة أن يقـصي مـن طريقـه أيـة قـوى معارضـة لنهجـه في السـيطرة.

• الرقة والتحرير القادم

لا شيء أكـثر أهميـة اليـوم عنـد أهـالي الرقـة المحتلـة يـوازي حلـم التحريـر، واسـتعادة الحريـة التـي حلمـوا بهـا طويـلاً وناضلـوا مـن أجلهـا، وهنـاك تـوقٌ شـديد لعـودة الحيـاة في الرقـة إلى سـابق عهدهـا حيـث المـودة والتسـامح والانفتـاح والعيـش المشـترك مـع كل مكونـات الشـعب السـوري، وليـس مهـماً بالدرجـة الأولى عندهـم شـكل الحكـم في المرحلـة القادمـة، لأنهـم حـين شـاركوا في الثـورة السـورية ضـد نظـام البعـث والأسـد كانـوا ينطلقـون مـن إيمانهـم بأنهـم جـزء مـن هـذه الجمهوريـة السـورية، وبالتـالي لم يكـن وارداً في حسـابات أيٍّ منهـم التفكير بالتقسـيم تحـت أي مسـمّى كان، وإذا كان لهـم مـن رأي وإرادة فهـم مـع بقـاء الرقـة ضمـن الجمهوريـة السـورية الواحـدة فقـط، أمـا إذا كان الأمـر لم يعـد بيـد أحـد منهـم وأن التقسـيم قـادم لا ريـب فيـه نتيجـة إرادة القـوى الدوليـة الكـبرى التـي تقـرر مصـير سـوريا ومسـتقبلها بعيـداً عـن إرادة شـعبها، فهـذا أمـر آخـر. وبخصـوص النظـر إلى

إمكانيـة قيـام كيانـات سياسـية جديـدة فـإن الرقـة لا يمكـن لهـا أن تخلـع عنهـا ثوبهـا العـربي تحـت أيـة ظـروف ومسـتجدات، وليـس مـن مصلحـة أحـد اللعـب عـلى التاريـخ وتزويـر حقائقـه، فالرقـة عربيـة بأهلهـا وتاريخهـا وحضارتهـا، ومـن المعيـب والمسـتهجن أن يقـال شـيئاً غـير ذلـك.

الرقـة عربيـة كانـت وسـتبقى وغنيـة بتنوعهـا ونمـط العيـش المنفتـح الـذي يميـز أهلهـا، ويعـرف هـذا كل مـن عـرف الرقـة.

يأمـل أهـل الرقـة أن تكـون لهـم يـد في أيـة معـارك قادمـة لتحريرهـا مـن محتليهـا، وهـم يمـدون أيديهـم لـكل القـوى الوطنيـة والديمقراطيـة التـي تسـعى للخـلاص وبنـاء مسـتقبل سـوريا الحـرة الجديـدة التـي دفعـت مـن أرواح أبنائهـا كل هـذه التضحيـات بـين شـهيد وجريـح ومعـاق ومعتقـل ومهجـر داخـل وخـارج الوطـن.

غـير أنهـم وعـلى اختـلاف توجهاتهـم السياسـية والفكريـة يرفضـون مجـرد الحديـث في أيـة صيغـة لمسـتقبل الرقـة بمعـزل عـن وجودهـا داخـل حـدود الجمهوريـة السـورية، بمـا في ذلـك الفيدراليـة أو الكونفدراليـة.